حواريات كلامية

الكتاب : حواريات كلامية
المؤلف : الشيخ إبراهيم البدوي
الناشر : دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع
طريق المطار / سنتر زعرور .
هاتف : 01/450580 - 03/853571
إخراج : MoonRay
طريق المطار / سنتر زعرور / هاتف : 01/450907

الطبعة الأولى
بيروت - 2002

حواريات كلامية

إبراهيم البدوي

دار العلم

مقدمة الناشر

في عالم يطلب يوماً بعد يوم الحقيقة والمعرفة ويجهد بشتى الطرق ومختلف أنواع التجارب للوصول إلى الطمأنينة والسعادة ، ثمة أشخاص باحثون أيضاً عنها ، ولكن بطريقة أخرى ووسيلة مختلفة .

إنه العلم... لكن أي علم؟ هذا هو الذي تحتاجه البشرية اليوم، لا شك أنه العلم الذي يوصله إلى هدفه، وأي وسيلة أفضل من علم معرفة الحقيقة...

إن سلسلة عالم الفلسفة والعرفان تلقي الضوء على مجموعة من الموضوعات والمباحث في عالم الفلسفة والعرفان ، وهي محاولة لإعادة هذه الروح على أن تثمر ما هو جديد من العلوم القديمة والحديثة . وقد اختارت إدارة مركز دار العلم للدراسات والأبحاث نخبة من المفكرين والباحثين لتعرض أفكارهم وأبحاثهم لظئى المعرفة والعلم .

وهذه التجربة هي الخطوات الأولى لإحياء هذه العلوم في رحلة الوصول إلى الحقيقة .

الـــنـــاشر

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد البشر وخير المرسلين محمد بن عبد الله ، وعلى آله الطيبين الطاهرين .

أما بعد ..

فقد كان للعقيدة الكامنة في الصدور المتوقدة في النفوس بالغ الأثر في رُقي الأمم وتحضُّرها ، وانتصار الثورات ، وقيام الدول والإمبراطوريات، فهي التي دفعت الشعوب للإنطلاق نحو العمل على وفقها ، قسَمَت بهم إلى العياء عندما حملوها في نفوسهم صحيحة سليمة ، وهَوَت بهم إلى الحضيض عندما قَبِلوها فاسدة سقيمة ، فملأوا أذهانهم بأفكار وسخافات رذيلة وترهات منحطة دنيئة .

ولا ريب، عزيزي القارئ، أن بإمكان كل عاقلٍ واعٍ أن يحدد معالم مستقبل كل أمة من خلال دراسة ما تعتنقه من عقائد ، وما تحمله من أفكار،

وبالتالي من خلال ما تمارسه من أعمال على ضوء الإيمان والمعتقد. فتراهم يسمون إذا سمت عقائدهم ، ويسفّون إذا إذا أسفّت . ولهذا كانت العقيدة هي المحرك الذاتي للفرد ثم للمجتمع وسائر الأمم نحو الرُقي أو الانحطاط . ولم تكن العقيدة الصحيحة في يوم من الأيام عامل تخدير وتسكين ، أو عنصر تمبيع واضمحلال كما حاول بعض منظّري الإلحاد أن يزرع في نفوس الناس من خلال المقولة التي اشتهرت في مطلع القرن العشرين: الدين أفيون الشعوب .

بل على العكس من ذلك ، فإن الدين إذا صار عقيدة تتوهج في عمق النفس يدفع حامله للاستبسال في الذود عنه، وإلى الموت في سبيله، لا أنه يُخدِّره ويحمله على السكون والتقوقع .

ولا شك في أن الأشياء بوجودها الواقعي لا تحرك الإنسان ما لم يتحول هذا الوجود إلى وجود علمي ، ويأخذ شكل العقيدة في الثبات والرسوخ. فوجود الحيوان المفترس خلفك لا يزرع في نفسك ذرة من الخوف إن لم تعلم به ، وتعتقد بوجوده . ولو اعتقدت بوجود أفعى صغيرة في جُجرٍ بجانب فراشك لن يغمض لك جفن ، بل أكثر من ذلك فإنه حتى لو لم يكن هناك شيء مخيف ، ولكنك اعتقدت بوجوده فلسوف تجد نفسك مضطراً للتعامل معه وكأنه

موجود لا محالة .

فالعقيدة وحدها هي التي تمتلك القدرة على تحريك الإنسان أو تسكينه ، فمن لا يؤمن بوجود امتحان لا يُلزم نفسه بالدراسة ، ومن لا يثق بخروج الزرع لا يتعب نفسه بالبذر، ومن لا يعتقد بوجود أجرة في نهاية العمل لن يتمكن من الصبر على مشقات التعب والجهد .

انطلاقاً من هذه الحقيقة الراسخة المزروعة في داخل النفس البشرية أكَّد الإسلام الحنيف على ضرورة الإيمان وأهمية العقيدة ليتولّد داخل كل مؤمن محركٌ يدفعه نحو الطاعة والعمل الصالح، ويبعده عن المعصية وارتكاب الشرور .

ولقد حثَّنا الإسلام عبر كلمات القرآن الخالدة على الإيمان بالأركان الأساسية للعقيدة الصحيحة الواضحة المتمثلة بالدين الإسلامي الحنيف الخالي عن الشوائب والخرافات، والبعيد كل البعد عن عالم الأساطير والخزعبلات ، النابع من الواقع ، المؤيد بالمنطق والعقل والعلم .

قال الله عز وجل في سورة البقرة :

{من الرسول بما أنزل إلأيه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك

ربنا وإليك المصير}[1] .

ولما لم يكن لأية فكرة أن تصبح معتقداً ما لم تكن واضحة المعالم بيّنة المفهوم ، ترتبط بالذهن ، ويعقد عليها القلب ، وتنطوي عليها النفس ، كان لا بد من العمل على توضيح ما غمض من جوانب العقيدة الإسلامية، وتبيين ما خفي من معالمها ، وذلك عبر استعراض كل ما له علاقة بهذا الجانب بأسلوب سهل مبسَّط، وعبارة سلسلة ممتعة يتمكن معها طلابنا الأعزاء وأجيالنا الناشئة وشبابنا المؤمن من فهم أصول الدين بالشكل الصحيح ليواجهوا بكل صلابة محاولات الغزو الفكري، وليقاوموا بكل شدة مساعي الغرب الماجن في إرادة حرفهم عن جادة الحق ودفعهم عن الصراط المستقيم .

هذا ، وقد طلب منها بعض الأخوة الكرام موجزاً في علم الكلام، يكون حاوياً على مجمل المسائل الكلامية التقليدية ، ومتعرّضاً لعدد من الأسئلة التي تدور على الألسنة وفي المجالس كثيراً، على أن تُعرض أجوبتها بأسلوب واضح يناسب المبتدئين من الطلبة وغيرهم من أجيالنا الصاعدة ، لكي يكون هذا الموجز معيّناً لهم في ما يحتاجون

1ـ سورة البقرة ، آية : 285 .

إليه للإلمام بمجمل مسائل العقيدة الإسلامية .

وقد ارتأينا ، من مبدأ التبسيط والتسهيل، أن نعرض بين يدي القارئ الكريم أفكار هذا الكتاب على نحو حوار يدور بين الحكيم والمتفكر فيستعرض مجمل البحوث الكلامية في شكل سؤال وجواب بطريقة منهجية ، مع رعاية الدقة والاختصار خوفاً من الإطالة ، واحترازاً عن الملل، عسى أن نتمكن بذلك من سد ثغرة في المكتبة الإسلامية ، ومن تقديم خدمة صغيرة للإسلام وللمسلمين ، والله هو المسدد للصواب بمنّه وتوفيقه ، وهو من وراء القصد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

إبراهيم محمد البدوي

المجلس الأول

حوار حول ركائز الإسلام

أدلة وجود الخالق

أجال المتفكر ذات يوم فكره في هذا العالم باحثاً عن معرفة الحقيقة مسترشداً مستهدياً، فوجد ان لديه عدداً كبيراً من الأسئلة يحتاج إلى الإجابة عنها بوضوح ودقة ليشبع نهمه للمعرفة وحبه للعلم . فلم يجد بداً من أن يتوجه إلى بيت الحكيم ليستنير برأيه وينهل من معين علمه . فقال له : ايها الحكيم هل من دليل سهل وواضح على وجود الخالق عز وجل بعيداً عن تعقيدات الفلاسفة وحشو المتكلمين؟

فأجابه الحكيم: إن أبرز دليل على وجوده سبحانه وتعالى المعرفة الفطرية التي لا تحتاج إلى إقامة الأدلة والبراهين ، بل يكفي فيها استثارة كوامن الفطرة كما فعل الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) حين جاءه رجل فقال له :

- يا بن رسول الله ، دلّني على الله ما هو ؟ فقد أكثر علي المجادلون وحيَّروني .

- يا عبد الله ، هل ركبت سفينة قط ؟
- نعم .
- هل كُسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ، ولا سباحة تغنيك ؟
- نعم .
- فهل تعلق قلبك هناك أن شيئاً من الأشياء قادرٌ أن يخلصك من ورطتك ؟
- نعم .
- فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجّي وعلى الإغاثة حيث لا مغيث[1] .

هذا دليل فطري يعتمد المعرفة الوجدانية، وإن كان لا بد من ذكر دليل علمي فإليك دليل الحدوث، وهو دليل تقرُّ به كل نفس بشرية تمتلك عقلاً سليماً من الشبهات :

إن الإنسان يؤمن بقضايا بديهية أولية لا يحتاج فيها إلى دليل لشدة وضوحها في نفسه، مثل: "الكل أكبر من الجزء" ، و"النقضيان لا يجتمعان" ، و"المعلول لا بد له من علة" .

فالطفل الصغير يدرك عند انطفاء نور المصباح أن أحداً وراء ذلك ، فتراه يسأل عن الفاعل لا شعورياً .

وبناء على هذه القضية البديهية نقول : كل موجود في هذا الكون محتاج إلى علة ، إذ ليس هو الذي

1ـ التفسير المنسوب للإمام العسكري(ع) ، وعنه بحار الأنوار ، ج3 ، ص 41 .

أوجد نفسه، وهو حادث أي لم يكن ثم كان ، فمن يا ترى هذا الذي كوَّنه ، أي مَن أخرجه مِن العدم إلى الوجود؟ إن تلك القوة التي أوجدت هذا الكون بكل ما فيه نسميها "الله" تعالى .

ولشدة وضوح هذا الدليل ورسوخه في النفوس نجد عامة الناس بمختلف مستوياتهم العلمية يعتمدون عليه في إيمانهم بوجود الله تعالى ويستدلون به .

سُئِل أعرابي يسير خلف جمل له عن علة إيمانه بالله تعالى فقال :

"البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام على المسير، أسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج لا تدلان على اللطيف الخبير؟"(1) .

وسُئلت عجوز عن سبب إيمانها بالله، وكان بيدها مغزل تغزل به فقالت: "مغزلي هذا ، إن حركته تحرك ، وإن تركته توقف" .

• المتفكر: لماذا لا تكون تلك العلة الموجودة للكون هي المادة، أي العناصر الأولية التي يتكوّن منها الإنسان وباقي الكائنات ؟

▪ **الحكيم:** من المعلوم أن كل ما في المخلوق من صفات لا بد أن يكون من الممكن ثبوته للخالق وموجوداً

1ـ بحار الأنوار ، ج69 ، باب 30، ص 134 .

لديه ومتيسراً له ، ومِن المخلوقات ما هو عاقل ومريد ومنظّم، بينما المادة ليس لها أي صفة من هذه الصفات، فلا يمكن لغير العاقل أن يخلق العاقل، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وكيف يمكن للجماد أن تخلق الإنسان بكل صفاته الكمالية من السمع والبصر والنظام والحياة والإرادة والاختيار وفوق كل ذلك العقل؟ لو كانت تتمكن من ذلك لأوجدت هذه الصفات لنفسها أولاً .

ومَثَلُ المادة مَثَلُ الجاهل الذي نريده أن يعلم الآخرين ما لا يعرفه هو . لو كان بمقدورها ذلك لعلم نفسه وخرج من جهله قبلهم .

• المتفكر: ماذا لو قلنا بأن المادة أوجدت الإنسان وغيره من الأحياء، لكن ليس بإرادة مسبقة وعقل واختيار كي يقال: فاقد الشيء لا يعطيه، وإنما بمحض الصدفة، فقد يتفق أن تُوجِدَ الشرارة الصغيرة ناراً كبيرة اذا صادف وجود كل أسباب الاحتراق؟

▪ **الحكيم : أولاً :** إن الصدفة لا يمكن لها بوجه أن تبدع شيئاً من لا شيء . وغاية ما يحصل منها مخلوق جديد من أشياء كانت موجودة قبله ، فيعود السؤال: من هذا الذي أوجد هذه الأشياء ؟ فلو سألنا عن المادة

التي صارت بالمصادفة كوناً وأرضاً وكواكب وحيوانات من أين جاءت؟ لا يمكن لأحد تعليلها بالصدفة أيضاً ، لأن السؤال سيتكرر إلى ما لا نهاية، والمادة لا يمكن أن تكون أزلية بذاتها ، لأنها متغيرة وكل متغير قابل للفناء والانعدام ، فلا بد من الالتزام في نهاية المطاف بأن هناك من أوجد المادة من لا شيء، وهو باقٍ غير فانٍ ، لأنه ليس مادياً ، ذلك الموجد هو الله سبحانه وتعالى .

وثانياً : إن الصدفة لا يمكنها أن تتكرر دائماً ولا غالباً، وكل ما في الوجود منظم وبديع، فكيف تكررت الصدفة إلى هذا الحد ؟

قد نحتاج إلى تكرار الحادثة مليارات المليارات لكي نحصل على أمرٍ واحدٍ مركب بدقة وتنظيم وقد لا نحصل عليه أبداً فكيف بهذا الوجود المتكامل في دقته ونظامه . خذ هذا المثال لتوضيح الفكرة : لو أعطينا قرداً آلة كاتبة، وعلمناه الضرب عليها عشوائياً ، وجلسنا مئات السنين ننتظر خروج رسالة كاملة مؤلفة من 10 أسطر من تلك الآلة فكم هو احتمال النجاح في ذلك يا ترى ؟

عدد الحروف الأبجدية 28 حرفاً ، فلو فرضنا أن الرسالة مؤلفة من 10 أسطر في كل سطر 10 كلمات وتتألف كل

كلمة من 3 حروف فقط علينا أن نضرب رقم 28 بنفسه 300 مرة . لا ريب أنك ستجد أمامك رقماً لا تنتهي أعداده ، ولا حد لأصفاره ، بل هو بمثابة الصفر في عالم الاحتمال .

فإذا كان هذا شأن رسالة عادية واحدة ، فما بالك لو انتظرنا خروج إحدى مسرحيات شكسبير ، أو انتظرنا كتاب الشفاء أو القانون لأبي علي سينا، بل ما بالك بدماغ الإنسان المكوِّن من حدود زهاء عشرين مليون عصب دقيق ، كلها مركّبة ببالغ الدقة ؟ كم سيكون احتمال وجوده من تلقاء نفسه وبمحض الصدفة ؟

إنه المستحيل بعينه ؟

فالحاصل الذي لا ريب فيه أنه لا يمكن أن يصدر ذلك إلا عن فاعل عاقل حكيم قادر مختار ، ذاك هو الله رب العالمين ، فسبحان الله عما يصفون .

من أوجد الله

• **المتفكر: سلّمنا أن الله تعالى هو علة الكون، وقد ذكرت لي أن كل معلول يحتاج إلى علة ، فمن أوجد الله ؟**

▪ **الحكيم** : كل معلول بحاجة إلى علة، والله تعالى ليس معلولاً وإنما هو واجب الوجود، أي هو علة العلل ، ولا يمكن أن يكون له علة، والسبب في ذلك أنه لو لم يكن في هذا الوجود شيء واحد لا علة له للزم أن لا يوجد أي شيء ، مع أن الأشياء موجودة قطعاً ، وذلك لأن السؤال سيستمر ، وهذا ما يسمونه الفلاسفة "التسلسل" .

ولكي ينقطع السؤال لا بد من افتراض علة أولى تمتاز عن سائر العلل بأنها إلى علة ، وهذا معنى واجب الوجود . وعلى هذا يكون السؤال غلطاً ، إذ بمجرد أن نؤمن بالله يعني آمنا بعلة لا تحتاج في وجودها إلى علة ، لأن الوجود .

وإذا كان هذا الكلام غامضاً بعض الشيء تدبر هذا المثال :

إذا أردنا أن نلوّن أي شيء بلون أبيض مثلاً ، فإننا سنحتاج إلى صَبْغِهِ بالبياض . فبالبياض تصبح الأشياء

بيضاء . وهنا نسأل : من أين جاء البياض ببياضه ، أي من الذي بيّض البياض ؟ سؤال غلط ، لأن البياض هو الذي يعطي غيره بياضاً، وبياضه ينبع من ذاته ، بل هو عين بياضه ، فهو لا يحتاج إلى من يبيِّضه ، وإلا لسألنا عن ذلك الشيء من بيَّضه ، وهكذا .. سلسلة لا تنتهي .

• **المتفكر : قلت إن الله تعالى باقٍ غير فان ، لأنه ليس من جنس المادة، فما هو إذن ؟ ألا يمكن لنا إدراك حقيقته تعالى ؟**

▪ **الحكيم :** إن عقولنا هذه مؤهلة لتدرك أن الله تعالى موجود ، وتدرك صفاته وآثاره ومخلوقاته ، وليس من اللازم أن تكون مؤهلة لإدراك حقيقته وكنهه ، وذلك لأن الله تعالى حكيم ، بدليل وجود الحكمة في مخلوقاته كالإنسان مثلاً ن فلا بد أن يخلق الأشياء بحكمة، ولأهداف محددة ، لا عبثاً ولغواً .

قال تعالى : {**وكل شيء عنده بمقدار**} [1]

وقال أيضاً : {**وإن من شيء إلا عندنا خزائنه، وما ننزِّله إلا بقدر**

1ـ سورة الرعد ، آية 8 .

معلوم } [1] .

وبما أن ما يحتاج إليه الإنسان من أجل الوصول إلى الهدف الذي خلق لأجله ، ألا وهو الكمال ليس سوى معرفة أصل وجود الله تعالى، وبالتالي معرفة أوامره ونواهيه كي يتمكّن من طاعته وعبادته ، فلم يكن ثمة حاجة إلى إدراك كنهه وحقيقته بالعقول ، هذا إذا قلنا : إنه من الممكن لغير ذاته المقدسة أن تدرك كنهه ، وإلا فلا يبقى للبحث من معنى أصلاً [2] .

هل الله جسم ؟

1ـ سورة الحجر ، آية 21 .

2ـ وللمزيد من التوضيح تدبر هذا المثال : لو كان لأحدنا مذياع مصمم لالتقاط البث الإذاعي على الموجة المتوسطة مثلاً . فإننا مهما حاولنا أن نلتقط به الموجات = القصيرة أو الطويلة فلن نُفلح ، لا لأنه معطّل ، ولا لأن الإذاعة التي تبث على الموجة المتوسطة غير موجودة ، ولا لأن صانعه عاجز عن صنع ما يجعله قادراً على التقاطها، بل لأنه لم يجهَّز إلا بمقدار الحاجة ، وهي التقاط الموجة المتوسطة . وعليه فإن المسارعة إلى إنكار وجود البث الإذاعي على الموجة القصيرة أو الطويلة ضرب من التهور والجهل ، كما هو حال الكثيرين من أبناء هذا العصر .

• المتفكر: هل من الحكمة أن نؤمن بإله لا تدركه حواسنا ولا عقولنا ؟

▪ **الحكيم** : أمّا أنه لا تدركه حواسنا فصحيح ، لأن الله تعالى ليس جسماً، ولا هو شيء مما يقع تحت الحواس ، لأنه مطلق غير محدود ، والمطلق لا يمكن للحس أن يحيط به . وسأذكر لك فيما بعد ما يزيدك إحاطة بهذه المسألة عندما نتناول مسألة إمكان روية الله تعالى ، فأرتقب.

وأما أن عقولنا لا تدركه فغير صحيح ، بل عقولنا قادرة على إدراك أنه موجود من خلال إدراك آثاره ومخلوقاته ، ولكنها لا تدرك حقيقته. ولا يجب للإيمان به وإطاعة أوامره أن نعرف كنهه .

ولِتقطعَ بصحة ما نقوله تدبَّرُ هذا المثال :

لو سمعت طَرِّقاً على بابك ، وأنت داخل البيت، فإنك تعلم من خلال هذه الطرق أن أحداً ما وراء الباب يريد الدخول ، وذلك لأن قرع الباب لا يمكن أن يحصل بدون علة ، فتؤمن بوجود الطارق مع أنك لم تره . وكذلك تقطع بوجوده دون أن تعلم أنه رجل أو امرأة أو طفل أو غير ذلك، فلم يمنعك جهلك بحقيقته من القول بأصل وجوده والتوجه لفتح الباب ، وهكذا

حال إيماننا بالله تعالى .

الحكمة في خلق البشر

• **المتفكر : ماذا يريد الله منا ، ولماذا خلقنا ؟**

▪ **الحكيم :** لا ريب أننا كنا عدماً، ثم أخرجنا الله تعالى للوجود بما أننا ممكنات، ولنا قابلية أن نوجد . وهذا لون من ألوان النعمة، بل هو من أعظم النِّعَم ، لأن الوجود خير من العدم ، إذ العدم لا شيء ، والوجود أمر جليل يعطي الإنسان فرصة لبلوغ الكمال فيما يحبه ويرغب به ، وبالتالي نيل السعادة الدائمة التي يصبو إليها بفطرته . وهذا هو سبب إيجادنا ، فإن الله تعالى يريد أن يمنّ علينا بأن يجعلنا كاملين بعد أن كنا في حضيض الفقر والنقصان . إذن ، وبكلمة واحدة ، السر في خلق البشر إيصالهم إلى الكمال، وبذلك تحصل لهم السعادة التامة المطلقة ، لهذا أوجدهم ، فله الشكر على هذه النعمة الكبرى .

• **المتفكر : نرى أن الناس يعيشون في هذه الدنيا حياة الضعف والفقر والألم ، ثم سيعذبون يوم القيامة**

بالنار على المعصية والخطأ ، فأين الكمال ، وأين السعادة ؟

▪ **الحكيم :** لا يمكن للشيء أن يصل إلى كماله بسهولة ودون مشقّة، فالبذرة لا تصبح شجرة مثمرة ما لم تعانِ من صعوبة شق التربة واختراقها لتخرج إلى النور ، والذهب لا يصبح لماعاً ذا قيمة ما لم يتحمل حرارة النار عند صقله ، والطفل لا يصبح عالماً ما لم يصبر على مشقات الدراسة والتعلم، وليس معنى ذلك فوات الغرض الذي خلقنا لأجله، بل هو عين تحقيق الغرض الذي خلقنا لأجله، بل هو عين تحقيق الغرض لمن نظر بعين العقل وتدبر في حوادث الدنيا ومخلوقاتها .

هب أنك ضعيف البنية ، جبان النفس لا تحتمل خوض المعارك ومنازلة الشجعان ، وهذا نقص في الرجل ، وأردت أن تبلغ الكمال بأن تصبح قوياً شجاعاً ، فماذا تعمل ؟ لا بد أنك تبدأ بالتدريب على يد معلم قوي وخبير . أفكلما طلب منك أن تحمل شيئاً ثقيلاً ليشتد ساعدك أو أمرك بأن تصعد الجبال لتتصلب قدماك أو أشار عليك بمصارعة أحد أقرانك لتثبت جدارتك ، تعد ذلك منه تضييعاً أو نقصاً للغرض الذي جئت إليه من أجله ؟

وأما العذاب الأخروي فهذا ما لا يريده الله لنا ، ولكننا أردناه لأنفسنا ، ففوتنا بجهلنا عليها الفرصة العظيمة . وشأننا في ذلك شأن الطالب الذي أراد له أبوه أن يصبح عالماً فأضاع عمره بالطيش واللهو حتى إذا فشل في دراسته ألقى باللوم على والده قائلاً : لماذا أرسلتني إلى المدرسة ، ألأجل أن أرسب وأتحمل ألم الشعور بالخسارة وأعاني مرارة الإحساس بالفشل ؟

• المتفكر: لماذا لم يخلقنا الله تعالى كاملين من أول الأمر ، ويخفف عنا عناء التكليف في الدنيا والعذاب في الآخرة ؟

▪ **الحكيم :** خلق الله تعالى ثلاثة أنواع من المخلوقات : نوع تحكمه الغريزة والشهوة دون العقل وهو الحيوان ، ونوع من عقل محض ولا شهوة له وهو المَلَك ، ونوع فيه العقل والشهوة معاً وهو الإنسان . فالحيوان لا يمكنه أن يصل إلى الكمال لعدم أهليته لذلك ، والملك خُلق كاملاً فليس له في ذلك فضل ، بينما الإنسان يتمكن من أن يتسافل إلى درجة الحيوان باتباع شهواته فيكون أدنى رتبة منه ، ويستطيع أن يتسامى بإعمال عقله إلى درجة الملك فيكون خيراً منه . فلو خُلق الإنسان كاملاً من

أول الأمر لما كان الإنسان إنساناً بل كان ملكاً ، وللزم خلق المخلوق الآخر الممكن الذي هو الإنسان ، وكلما عاد السؤال عاد الجواب .

الحكمة في خلق الكائنات

• **المتفكر: هذا سبب خلق البشر ، فما سبب خلق الكائنات الأخرى؟**

▪ **الحكيم** : كل الكائنات التي خلقها الله تعالى من جمادات وحيوانات ونباتات وغازات ، خلقها لأجل الإنسان وسخّرها لخدمته ، وقد خلقت على نحوٍ يتمكن معه من الاستفادة منها كلهاً بما يساعده على المضي في طريق تكامله . إذن علة خلقة الأشياء خدمة الإنسان ، وعلة خلقة الأشياء خدمة الإنسان ، وعلة خلق الإنسان وصوله إلى الكمال والسعادة الأبدية .

الإسلام طريق الكمال

• **المتفكر : ما هي السُبُل الموصلة إلى هذا الكمال ؟**

▪ **الحكيم** : ليس هناك سوى سبيل واحد، وهو اتباع دين الله تعالى الذي سنّ فيه كل الشرائع التي يحتاجها الإنسان لبلوغ غايته من الكمال ، وليس لله تعالى سوى دين واحد، هو دين الإسلام ، أنزله على جميع الأنبياء دون استثناء ، وأمرهم أن يبلّغوه لأممهم . وهذه حقيقة يثبتها ، فضلاً

عن اتحاد الأديان السماوية في جوهرها وحقيقتها وإن اختلفت بأسمائها وبعض مظاهرها ، قوله تعالى : {**إن الدين عند الله الإسلام**}[1] .

وقوله تعالى : {**شرع لكم من الدين ما وصَى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**}[2] .

وما فرّق الناسَ أدياناً ومذاهب إلا تصرفهم بشريعة الله حسب أهوائهم ومصالحهم، فحرّفت كل أمة تعاليم نبيها على نحو يتناسب مع هوى كبريائها وأحبارها، فاكتسبت طابعاً خاصاً عرف مثلاً باليهودية، ثم بعث الله تعالى نبياً آخر ليصلح ما وقع في شريعة النبي السابق من تزييف وتحريف، ولكن عاد ذوو النفوذ والمنافع الخاصة ليدسوا أصابعهم في سطور الكتاب السماوي مما ولّد ديناً آخر له صيغة معينة عرف مثلاً باسم النصرانية، وهكذا .. إلى أن بعث الله تعالى آخر النبيين مزوّداً بكتاب معجز غير قابل للتحريف ، وبشريعة متكاملة تحكم جميع جوانب الحياة . ولمّا لم يكن لأحد تحريفه ظل محافظاً

1ـ سورة آل عمران ، آية 19 .

2ـ سورة الشورى ، آية 12 .

على اسمه الحقيقي الذي نص عليه القرآن والذي دعا إليه الأنبياء السابقون جميعاً .

قال تعالى: { **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون**}[1] .

وقال أيضاً : { **ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنيَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنَ إلا وأنتم مسلمون**}[2] .

ومن غير الممكن أن يكون لدى الله تعالى أكثر من دين ، وذلك لأن العقل يحكم أن لطف الله بعباده يقتضي أن يختار لهم الأصلح ، فإذا كان له أكثر من دين فإما أن تتطابق هذه الأديان تماماً فعادت ديناً واحداً وإما أن يكون بينها اختلاف ، وعليه فلا بد أن يكون أحد الدينين هو الأصلح، ومن هنا لا يكون الآخر دين الله، لأنه لا يكون هو الأصلح، وبالتالي لا يمكن أن يُنسب إلى الله اللطيف بعباده .

ومن ثَمَّ قال تعالى : {**ومنْ يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبلَ منه وهو**

1ـ سورة البقرة ، آية 133 .

2ـ سورة البقرة ، آية 132 .

في الآخرة من الخاسرين}[1] .

● **المتفكر : ما هو الإسلام ؟ وما هو الإيمان ؟**

■ **الحكيم :** إن حدّ الإسلام هو إظهار الشهادتين باللسان عن قصد وإرادة وهما :

"أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله" .

والاعتقاد الجازم بهذه الشهادة بكل ما تحتويه من معنى شامل لأصول الدين الخمسة التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد هو الإيمان .

فمن لم يقلها عن قصد فهو كافر، وإن قالها وكان معتقداً بها ومصدقاً بما تدل عليه فهو مؤمن ، وأما إذا قالها وهو منكر وجاحد بها فهو منافق ، وهو أسوأ حالاً من الكافر ، لأنه أشد خطراً على دين الله .

قال عز من قائل متحدثاً عن الأعراب ومبيناً الفرق بين الإسلام والإيمان :

{ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخلِ الإيمانُ في قلوبكم**}[2] .

● **المتفكر : ما دام الإيمان هو الاعتقاد بهذين الأمرين فقط، فمن أين**

1ـ سورة آل عمران ، آية 85 .

2ـ سورة الحجرات : آية 14 .

جاءت تلك العقائد الكثيرة الموجودة في بطون الكتب؟

▪ **الحكيم :** هذان الأمران بما يحملان من معانٍ هما مجمل العقيدة الإسلامية، ولكن بملاحظة تلك المعاني تتولد عقائد تفصيلية لا بد منها ليتمكن المسلم من الحصول على عقيدة واضحة وثابتة ، فمثلاً من لواحق الإيمان بالتوحيد الإيمان بصفات الله تعالى ومنها العدل ، ومن لواحق النبوة الإمامة ، لأنها مكملة لها ، ولأجل إخبار القرآن بالمعاد وأهميته في حياة الناس، كان لا بد من الاعتقاد به أيضاً، وهكذا الحال في سائر أمور العقيدة التفصيلية .

فبما أن الإيمان بنبوة محمد بن عبد الله (ص) يقتضي التصديق بكل ما جاء به القرآن الكريم ، وتعرض هذا الكتاب السماوي الخالد لأمور غائبة عن حواسنا وعقولنا كان لا بد من الاعتقاد بها لإخبار الله تعالى عنها كالملائكة والأنبياء والكتب السماوية وغير ذلك .

قال تعالى : { **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرّق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك**

المصير}[1] .

من هنا كان الإيمان بمختلف العقائد الإسلامية جزءً لا يتجزّأ من الإسلام ، وإنكاره عن التفات وعلم يستدعي الكفر بأصل وجود الخالق أو برسالة الرسول (ص) .

أصول الدين الخمسة

• **المتفكر: ما هي أصول الدين، ولِمَ كانت أصولاً دون سواها .**

▪ **الحكيم** : أصول الدين خمسة ، هي :

1- التوحيد: وهو الاعتقاد بأن الله تعالى واحد في وجوده وذاته وفعله، لا شريك له في شيء من ذلك .

2- العدل: وهو الإيمان بأن الله تبارك وتعالى عادل ، بل هو عين العدل فيستحيل بحكم العقل أن يصدر عنه أي ظلم بأي نحو من الأنحاء.

3- النبوة : والمقصود بها أمران :

- النبوة العامة : وذلك بأن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى بعث الأنبياء وأرسل الرسل لهداية الأمم إلى طريق الخير والكمال . من هنا كان لا بد من الإيمان بجميع الأنبياء والرسل .

1ـ سورة البقرة ، آية 285 .

وهذا ما يميز الإسلام عما سواه .
- النبوة الخاصة : وذلك بالاعتقاد بأن محمد بن عبد الله (ص) هو نبي مرسل من عند الله تعالى ، وهو خاتم الأنبياء .

4- الإمامة : وهي من متممات الإيمان بالنبوة ، وتقضي بضرورة وجود إمام يقوم مقام النبي (ص) في حال عدمه ، إذ من غير الممكن أن تخلو الأرض من حجة لله على البشر .
والأئمة بعد النبي هماثناء عشر إماماً ،كما سأخبرك مفصلاً في حينه.

5- المعاد : وهو أن نؤمن بأن هناك بعثاً للأموات ليعيشوا حياة أخرى غير هذه الحياة ، يحاسبون فيها على أعمالهم التي قاموا بها في الحياة الدنيا ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

وأما وجه تسمية هذه الأمور الخمسة بأصول الدين فأنها الركائز الأساسية التي يقوم عليها الإسلام حيث إن الإخلال بواحد منها لا يبقي في الإسلام حياة وروحاً ، بل يتحول الإسلام بذلك إلى دين آخر مغاير تماماً لما أراده الله تعالى ولما جاء به محمد (ص) .

ثم يتفرع من الإيمان بهذه الأصول كل ما حوته الشريعة الإسلامية. فيُسمى ذلك فروعاً .

الفرق بين الأصول والفروع

• **المتفكر : ما هي فروع الدين ؟ وما الفرق بينهما وبين الأصول ؟**

▪ **الحكيم :** فروع الدين كثيرة ، وهي عبارة عن كل العبادات والمعاملات كالصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الجهاد في سبيل الله .. وسائر الأمور الفقهية .

ووجه تسمية هذه الأمور فروعاً واضح ، وهو أن القول بوجوب الصلاة مثلاً أو الاعتقاد بأي حكم من الأحكام الفقهية فرع الإيمان بالله تعالى وبنبوة النبي (ص) ، فهي أمور متفرّعة عن القول بالأصول .

وأما الفرق بينها وبين الأصول فهناك فرقان أساسيان هما :

1- إن الإيمان بأصول الدين لا بد أن يكون ناشئاً عن دراسة ووعي وعلم واقتناع ، فلا يصح الأخذ بها اعتماداً على تقليد الآخرين حتى ولو كانوا آباءنا أو رجال دين أو علماء كباراً ومراجع أتقياء . وأما الفروع فلا مانع من الأخذ بها اتكالاً على آراء الغير وتقليداً لهم فيما إذا كانوا من أهل العلم والخبرة في هذا المجال .

وهذه المسألة من أهم المسائل التي تؤكد حقانية الإسلام ، وذلك لأن الإسلام لو كان ديناً باطلاً كغيره من المعتقدات السائدة اليوم لأغلق على أتباعه باب البحث ، وأمرهم بتقليد السلف الماضي أو اتباع رجال الدين في عقائدهم خوفاً من بروز من يكشف الزيف ، ويبيّن الانحراف، ولكنه لمّا كان دينَ الله الحق فقد فتح أمام كل نفس باب الإيمان عن تأمل وتعمق ، كي يأتي إيمانها قوياً صلباً لا تزلزله رياح الشبهات ، ولا تقتلعه عواصف الشكوك . وسمح في فروع الدين بالتقليد، ولم يفرضه لكثرة هذه الفروع وسعة أبوابها ، بحيث لو شاء كل أحد أن يجتهد فيها لاستغرق ذلك سنين عمره كله، فتتعطل بذلك مصالح المجتمع ، لذا سمح لمن يكون ذا اهتمام آخر غير البحث الفقهي أن يأخذ فروع دينه عن العالم العادل ، ويتفرغ لمزاولة عمله ، كلٌ حسب رغبته ، فيُبنى بذلك المجتمع ، وتتماسك في الوقت نفسه الجهة الدينية لدى الأفراد .

2- الأصول عبارة عن عقائد ، أي أعمال مختصة بالقلب فهي أفكار نعتقد بصدقها ، ونعقد قلوبنا عليها ، فهي وبكلمة واحدة "أعمال قلبية" فقط . أما الفروع فهي بالدرجة الأولى أعمال جوارحية مرتبطة بما

يصدر عنا من حركات وسكنات ، فالصلاة مجموعة من حركات نقوم بها ، والصوم هو امتناع عن تناول المفطرات ، وكذلك سائر الفروع ما هي إلاّ أعمال تصدر عن جوارحنا بالإضافة إلى كونها عملاً قلبياً . فبعد الإيمان بوجوب الصلاة علينا ، وأنها مما أمر به الله ورسوله نقوم لنؤديها، فامتازت بذلك الفروع عن الأصول ، وامتاز بذلك الدين الإسلامي عن غيره من الأديان الباطنية ، فكان دين العمل والحركة والفعل ، لا دين السكون والخنوع والبلادة .

ضرورات الدين

• المتفكر : ما هي ضرورات الدين التي إذا أنكرها المسلم خرج عن الإسلام؟ وما الفرق بين إنكارها وإنكار أصل من الأصول المتقدمة ؟

▪ **الحكيم :** ضرورات الدين هي الأمور المعلومة لدى كل مسلم ، بحيث لا ينكرها أحد من فرق المسلمين ، فكلهم متفقون عليها قائلون بها ، وذلك كوجوب الصلاة مثلاً ، وكحرمة الخمر ولحم الخنزير ، فإن كل أهل الفِرَق الإسلامية يقولون بذلك ، فصار العلم بها ضرورياً لا يحتاج إلى إعمال نظر لإدراكه ، من هنا كان منكر هذه الأمور كافراً إذا التفت

إلى الملازمة بين إنكارها وإنكار نبوة النبي ، لأنه ينكر بذلك الإسلام الذي جاء به رسول الله (ص) ككلٍ متكامل .

وأما الفرق بين الأصول والضرورات فهو أن الأصول لا بد من الإيمان والتصديق بها ليكون المرء ملسماً، فلو لم يؤمن بها لكان كافراً، وأما الضرورة فلو لم يعرفها المرء لما أخلّ ذلك بإسلامه ، وإنما يخرج عن حريم الإسلام إذا أنكرها وجحدها، وأدعى أنها غير موجودة وغير صحيحة. فمجرد عدم العلم والاعتقاد بالأصل يستلزم الكفر، وليس مجرد عدم العلم بالضرورة يستوجب الكفر، وإنما يحتاج ذلك إلى إنكارها وجحودها .

• **المتفكر : ما دام الله تعالى قد أعطانا عقولاً نميّز بها الصالح من الطالح ، ونصل بها إلى معرفة الله تعالى ، فلماذا لا نكتفي بأحكامها ونَدَعُ كثيراً من التشريعات التي قد لا تقبلها عقولنا ؟**

▪ **الحكيم** : عقيدتنا في المعرفة أن هناك ثلاثة طرق للحصول عليها ، وهي : الحس والعقل والوحي ؛ فالحس يدرك الأمور الجزئية التي تقع تحت مرمى حواسنا الخمسة ، أو تحت متناول الحس الباطني الذي يسمى بالوجدان كالجوع والشبع واللذة والألم . والعقل يدرك المعاني الكلية مثل أن كل معلول لا بد له من علة ، وأن النقيضين لا يجتمعان . وأما الوحي فهو يأتينا بما لا يقع تحت حواسنا ، ولا تناله عقولنا ، مثل عالمَ ما وراء الطبيعة والغيبيات ، ومثل الأمور الشرعية الجزئية التي يتعبدنا بها الله تعالى ، ومن ذلك أن الله عز وجل فرض علينا صلاة الصبح ركعتين والظهر أربع ركعات ، فليس للحس ولا للعقل إدراك هذه الحقيقة ، والسبب في ذلك أن أحكام الله سبحانه وتعالى موضوعة على وفق نظام المصالح والمفاسد الموجودة في كل عمل ، فما كان فيه مصلحة ملزمة أوجبه ، وما كان فيه

مفسدة بالغة الضرر حرّمه ، وما كان بين هذين أباحه . ولما كانت عقولنا وحواسنا غير قادرة على إدراك المصالح والمفاسد الموجودة في كل أعمالنا في كل الأشياء التي خلقها الله كان لا بد من الاستعانة بمن هو أعلم بمن خلق وما خلق ، ويعلم صالحها من فاسدها ، لذا شرَّع لنا من الدين ما وصى به نوحاً وسائر النبيين من قبل نبينا صلى الله عليهم أجمعين . وأخبرنا عن هذه الشرائع بواسطة الوحي رأفة بنا ولطفاً بحالنا .

ومَثَلنا في هذه المسألة مَثَلُ المزارع مع الخبير الزراعي ، فهو يعطيه الأدوية دون أن يستطيع المزارع أن يميز بين ما يضر وما ينفع ، فإذا رجع إلى الخبير ليسأله عنها عرف ما كان جاهلاً به ، ولم يخاطر بمزروعاته باعتماده على عقله في إدراك تأثير هذه الأدوية .

والمزارع وإن كان قابلاً لأن يتعلم ، ويدرك أمور زراعته ، إلا أن العلم بالأمور الشرعية اعتماداً على العقل وحده سيصل إلى طريق مسدود ، فلا بد من خبير يعلمنا ، وهو النبي ، ولا بد للنبي من طريق لمعرفة هذه الأحكام ، وهي الوحي .

ومع كل هذه فنحن ندّعي ، وبالضرس القاطع ، عدم وجود أي حكم تشريعي يخالف أحكام العقل القطعية ، بل على

العكس من ذلك ، فإن أحكام الله منسجمة مع العقل تماماً ، وإن كان وجهها خافياً عليه في بعض الأحيان ، فيحتاج إلى مزيد من النضوج لإدراكها .

فكل عقائدنا نابعة من العقل ، لذلك نقيم عليها دائماً أدلة عقلية يسلّم بها كل عقل سليم ، والأحكام الفرعية لا تتنافى مع العقل ، فبمجرد أن تظهر المصلحة فيها نرى العقل يسلّم بها تماماً .

• المتفكر : العالم في تطور مستمر ، والإسلام صادر منذ ما يقارب ألفاً وخمسمائة سنة ، فكيف يمكن تطبيقه في هذا العصر بعد كل هذا التغيُّر والتطور ؟

▪ **الحكيم** : من الضروري أن نسجل هنا ملاحظة هامة ، وهي أن هذا التشريع ليس صادراً عن شخص عادي ، أو عن إنسان يعتمد على قواه الإنسانية ، وإنما هو تشريع صادر عن الله تعالى عبر إنسان مؤيد بالوحي مسدد بالروح القدس .

قال تعالى : { وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علّمه شديد القوى} (1) .

ولو كان صادراً عن مشرّع بشري يعتوره النقص أو الخطأ أو النسيان أو السهو والغفلة لكان هذا السؤال

1ـ سورة النجم ، آية 3 و4 و5 .

متجهاً ، إلا أنه صادر عن قوة إلهية لا تخطئ ولا تنسى ، ومع ذلك نقول في معرض الجواب :

تعرض التشريع الإسلامي لبيان أحكام أفعال الإنسان كفرد بما لها من أبعاد ثلاثة : الإنسان مع ربه ، الإنسان مع نفسه ، والإنسان مع أخيه الإنسان . وتعرض أيضاً لبيان أمور اجتماعية عامة ترتبط بالفئات والمجموعات كالعلاقة مع غير المسلمين ، وأمور الحكم عموماً ، وما يرتبط بتنظيم الأسرة وغير ذلك من أمور سياسية واجتماعية واقتصادية . ويمكن لنا أن نقسم كل هذه الأمور التي بيّن الإسلام أحكامها إلى قسمين : ثابت ومتحرك ، كما أن الإسلام ترك منطقة فراغ في التشريع ليملأه الحاكم الشرعي حسب ما يرى من مقتضيات الحياة .

فأما الأمور الثابتة فهي التي لا تتغير مهما مرّ عليها الزمن ، وتوالت عليها السنين ، وذلك مثل علاقة الإنسان بالإنسان مثلاً وعلاقة الإنسان بربه ، فإن مرور آلاف السنين لا يغير من حقيقة تكوّن الوجود البشري من ذكر وأنثى لذلك عندما يضع الإسلام قوانين الزواج والطلاق وما يرتبط بذلك يكون ناظراً إلى حالة لا تتغير مهما تقدمت الأمم ، وتوغلت في طريق الحضارة ، إذ هذه

الأمور لا يمكن أن تنالها يد التطور . ومن هذا الباب علاقة الإنسان بربه ، وهي تشمل كل الأبواب العبادية في الفقه ، ومن هذا الباب أيضاً الثوابت الاقتصادية كضريبة الزكاة والخمس وكيفية أنفاقها والركائز السياسية القائمة على نفي الكذب والغدر وإعطاء الآخرين حقوقهم ، والأسس الاجتماعية القائمة على بناء الأسرة وما يبتني على ذلك من تكافل اجتماعي ، وترابط أسري وعائلي وقبلي ، وحتى الترابط المبني على المجاورة والمساكنة .

ولا يمكن لأحد أن يدّعي أن هذه الأمور قابلة للتغير من حيث أحكامها مع مرور السنين وتقدم عجلة التطور والتقنية لذلك وضع الإسلام أحكامها وفرغ منها .

وأما الأمور المتحركة فهي التي جعل موضوعها مرتبطاً بنظر العرف ومحكوماً للظروف القائمة ومدى احتياجات الدولة الإسلامية فسمح للحاكم الشرعي أن يلغي الملكية الفردية في بعض الأحيان إذا لزم الأمر، لشق الطرقات وبناء السدود وما يرتبط بهذا العالم وأذن له أن يحلّل بعض المحرمات المرهونة بصدق عنوان معين علينا فيما إذا زال هذا العنوان مع الزمن كتحليل اللعب بالشطرنج مثلاً إن لم يعد آلة قمار،

وكتحريم بعض ما هو حلال لوجود مصلحة أعلى كتحريم التبغ مثلاً لمواجهة الاستعمار ، وعلى هذا المنوال يواكب الإسلام حركات حاجات الأمة حسب التطورات لمواجهة المستجدات .

وأما مناطق الفراغ فقد تركها عن عمد ليكون للمجتهد هامش للتحرك لتقديم ما يحتاجه المجتمع من تشريعات لا تتعارض في جوهرها مع أصول وقواعد التشريع العامة .

ولما كان الاجتهاد باباً واسعاً مفتوحاً على مصراعيه يخوّل الفقهاء استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها المقررة . وهي الكتاب والسنة والعقل والإجماع كان الإسلام ديناً عالمياً خالداً لا يدخل عليه تقصير ولا يعتوره نقص . وكان بإمكانه أن يماشي عجلة الزمن ، ويواكب حركة التطور .

قال تعالى : { **ما فرطنا في الكتاب من شيء** } [1] .

وهذا من أكبر الأدلة وأعظمها على حقانية هذا الدين وكماله ، وذلك بيّن لمن تأمله وكان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وأما ما سوى ما ذكرنا من تطور وتغير كتقدم التقنية والصناعات وإيجاد أسلحة حديثة غير السهم

1ـ سورة الأنعام ، آية 38 .

والسيف ، واختراع وسائل نقل أسرع من الخيل والجمال ، وبناء البيوت الفارهة وناطحات السحاب بدل الدور الترابية والخيام ، وإنشاء مصانع التعليب وخطوط الإنتاج ، وشق الطرقات الواسعة المعبّدة بدل الأزقة الضيقة الترابية ، وتحديث الألبسة والأزياء ، وابتكار ألوان الطعام وغير ذلك من هذه المظاهر فلا يؤخر شيئاً ولا يقدم في مسألة تكامل التشريع أو قصوره ، وليس للإسلام في هذه الأمور أحكام ثابتة كي يُدّعى أنها تتنافى مع ما استحدث منها .

وأما أمور البورصة والمصارف وشركات التأمين واليانصيب وزرع الأعضاء والأجنة وأطفال الأنابيب والصعود إلى سطح القمر والاستنساخ فللإسلام في ذلك كلمته ، وهي لا تتنافى على الإطلاق مع متطلبات العصر بل تلائمه ، وإن شئت التأكد فراجع أراء الفقهاء في ذلك .

والحديث حول هذه المسألة ذو شجون نكتفي منه بهذا المقدار .

• المتفكر : هل القوانين المحدودة التي جاء بها الإسلام تفي بكل حاجات البشرية ؟

▪ **الحكيم :** ربما كانت الأحكام الإسلامية محدودة من حيث العدد ، إلا أنها لا متناهية من حيث المضمون ،

وذلك لأن فيها عمومات وإطلاقات هي بمثابة القواعد العامة التي يُرجع إليها في كل أمر ليس له حكم معلوم ، ووظيفة هذه القواعد سد الفراغ الذي يمكن أن يتولد عن وجود موضوعات جديدة ، فتؤخذ أحكامها من هذه العمومات أو الإطلاقات .

فقوله تعالى : { **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** }[1] .

قاعدة عامة تلزمنا بالالتزام بالعقود حتى ما كان مستحدثاً منها كعقود شركات الاستثمار والمصارف وشركات التأمين ونحو ذلك مما لم يكن موجوداً سابقاً .

وقول النبي (ص) : **«لا ضرورة ولا ضرار»**، يعطينا حكماً عاماً يخوّلنا إلغاء أي حكم يؤدي إلى إدخال الضرر المعتد به على الآخرين ضمن ضوابط شرعية محددة مستفادة من الكتاب والسنة .

وكذلك كل شيء لك حلال حتى تعلم أنه حرام "وكل شيء لك طاهر حتى تعلم أنه نجس" ، والكثير من هذه العمومات مما يفي بكل احتياجات البشرية لو أجاد الفقهاء استخدامها .

وقد أثبت علماء الإسلام ، وخصوصاً مراجع التقليد عند الإمامية مهارة

1ـ سورة المائدة ، آية 1 .

عالية في مماشاة كل تطورات العصر ، وأثبتوا لكل واقعة حكماً بما لا يخالف الثوابت الإسلامية ، بل بما ينبع من هذه القواعد العامة . وأي أمر مستعصٍ طرح على طاولة الابتلاء ولم يجد له الفقهاء حكماً شرعياً واضحاً وصريحاً ؟!

الفرق بين الأصول والفروع

• **المتفكر : هل من العقيدة الإسلامية تقديس الحجارة والقبور والتوسل بالموتى ؟**

▪ **الحكيم :** في طرح السؤال على هذا النحو مغالطة ، وذلك لأنه من اللازم التفريق بين الحجر الأسود الموضوع في ركن الكعبة الشريفة وغيره من الحجارة ، وبين بيت الله الحرام وغيره من البيوت . فما هو من العقيدة الإسلامية تقديس خصوص هذا الحجر وهذا البيت الذي جعله الله مثابة للناس ومركزاً يجتمع فيه المسلمون آتين من كل أنحاء الأرض لعقد مؤتمر عالمي يدرسون فيه أمورهم ، ويعرضون مشاكلهم باحثين عن حلول مناسبة كي يبقوا أمة واحدة ، يلجأون إلى بيت واحد حتى لا تفرقهم أنواء الفرقة ولا عواصف الخلاف .

ومن ذلك احترام المساجد ، فإنها بيوت الله تعالى ، واحترامها يعني طاعة الله ، ولله تعالى أن يحدد الطريقة المُثلى لامتحان طاعة عباده ، فقد يحدد مكاناً في الأرض ينسبه إلى نفسه ، ويأمر عباده بالحج إليه ليميّز المطيع من العاصي ، وله أن ينزل حجراً من حجارة الجنة يعتبر لمسه

بمثابة مبايعة وتجديد العهد ، وقد امتحن تعالى قبل ذلك آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة ، وإبراهيم عليه السلام بذبح ابنه وداود عليه السلام بالغنم التي نفشت في حرث القوم . وله في كل ذلك اختبار لا يسع الناس مخالفته .

ونحن عندما نعظّم البيت إنما نعظّم صاحبه ، إذ في تنفيذ أمره بهذا التعظيم إطاعة له وتقديس . ومن تقديس بيت الله الحرام باعتبار طاعة صاحبه ندرك شرعية زيارة قبور الأنبياء والأولياء لذات الاعتبار ، فنحن عندما نزور قبر ولي أو نبي إنما نحترم صاحبه ، وبما أنه من عقائد الإسلام أن أرواح الموتى تبقى بعد الموت كما هو مقتضى الإيمان بالحياة البرزخية ، فإن لهذه الأرواح أن تسمعنا وترانا ، وترد سلامنا وتفرح لزيارتنا .

هب أنه جاءك كتاب من شخص عزيز عليك جداً ، ألا ترى أنك ولشدة محبتك له واشتياقك إليه تأخذ كتابه ، وتبدأ بتقبيله عفوياً ودون التفات ، فهل أنت تعظّم بذلك الورق أم صاحب الكتاب ؟

وكم من أم ملهوفة لرؤية ابنها أخذت صورته تلثمها وتقبلها ، ولا تقصد بذلك إلا إظهار حبها وشوقها لصاحب الصورة لا للورق .

وأما التوسل بالأنبياء والأئمة فذلك أمر جائز ، إذ هم الواسطة بين الله تعالى وبيننا ، بمعنى أنهم الوسيلة التي إذا اتبعناها وصلنا إلى رضوان الله ، لأنهم منارات الهدى . وكلما قويت علاقتنا بهم وعملنا بتعليماتهم واقتدينا بهم كلما اقتربنا أكثر من جادة الصواب ، إذ هم أدلاء الركب على الطريق الصحيح لارتباطهم الوثيق بصاحب الرسالة العظمى (ص) . ونحن مأخوذون بطاعتهم والولاء لهم ومحسبون عليهم .

قال تعالى : { **ويوم ندعو كل أناس بإمامهم** }[1] ، فلو لم يكن هذا الإمام رابطاً بين الله والعباد لنودي البشر كل فرد على حدة . والإمام هنا أعم من النبي والوصي . وثبوته في النبي كاف في إثبات الجواز .

التقية

• المتفكر : ما هي التقية ؟ و ما الدليل على صحة العمل بها ؟

▪ **الحكيم** : التقية هي إخفاء أمر ديني خوفاً من الضرر المعتد به . وهي شعار كل مسلوب الحرية مغلوب على أمره . وقد عمل بها كثير من

1ـ سورة الإسراء ، آية 71 .

المسلمين منذ فجر الإسلام إلى اليوم ، وذلك بإذن من الله عز وجل .

قال تعالى : { **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تُقة**}[1] .

وقال عز من قائل مبرِّءً ساحة الصحابي عمار بن ياسر عندما اضطر للتلفظ بكلمة "هبل" تحت ضغط التعذيب :

{ **ومن كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان**}[2] .

وقال متحدثاً عن تقية مؤمن آل فرعون :

{ **وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه**}[3] .

فالتقية مفهوم قرآني يُسمح العمل به . لهذا ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال :

« **التقية ديني ودين آبائي ، ولا إيمان لمن لا تقية له** »[4] .

وللتقية شرائط وحدود مستفادة من القرآن والسنة ، فلا تسوَّغ بدونهما ، لا مجال هنا لتفصيلها .

1ـ سورة آل عمران ، آية 28 .

2ـ سورة النحل ، آية 106 .

3ـ سورة غافر ، آية 28 .

4ـ الكافي ، ج2 ، ص 174 ، ح12 .

المجلس الثاني

في بيان معالم التوحيد

أدلة التوحيد

• المتفكر : ما هو التوحيد ، وما الدليل عليه ؟

▪ **الحكيم** : التوحيد هو الاعتقاد بأن الله تعالى واحد في ذاته وصفاته ، ولا شريك له في ألوهيته لا من بشر ولا من غيرهم . فهو الرب المطلق ، ولا رب سواه . وهو خالق الكون والبشر والحياة وكل شيء دون حاجةٍ إلى غيره ، وبالتالي لا خالق سواه . وهو إله الخير والشر ، وإله النور والظلمة ، وإله السماء والأرض ، بيده ملكوت كل شيء ، وهو على كل شيء قدير .

وهناك عدة أدلة على التوحيد أبرزها الدليل العقلي البديهي القاضي بأن لكل علة معلولاً يصدر عنها ، وإلا لما كانت علة . ولو كان لهذا العالم علة أخرى غير الله تعالى لظهر وبان من خلال آثار سلطانه وتعاليم رسله كما ظهر الله عز وجل لنا من خلال ذلك .

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه

السلام :

إعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ن ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضاده في ملكه أحد ، ولا يزول أبداً [1] .

ولقد لفت القرآن الكريم أنظارنا إلى دليل بديهي آخر مفاده أن وحدة المعلول ، من حيث انسجامه وتناسقه ، دليل على وحدة العلة ، وإلا لتزاحمت العلتان ، وغلبت أقواهما ، أو لما وُجد المعلول أصلاً .

قال تعالى : { **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** }[2] .

أي لو كان في السماء والأرض إله مع الله لأدى ذلك إلى فسادهما، إذ لو تعدد المدبِّر لهما بأن كان لهما إلهان مثلاً فإما أن يتفقا في كل شيء ، وإما أن يختلفا ولو في شيء واحد ، فإذا اتفقا في كل شيء فهما واحد ، وليسا اثنين ، وإن اختلفا في شيء كان الكامل منهما هو الله جل جلاله والناقص مخلوقاً من مخلوقاته المحتاجة إليه . أي كان الأقوى هو الله والأضعف مخلوقاً ممكناً يحتاج إلى من يخلقه ، وكان الأعلم هو الله والآخر

1ـ نهج البلاغة ، وصية رقم 31 ، ص 291 .

2ـ سورة الأنبياء ، آية 22 .

يحتاج إلى من يعلمه ، وكان الغني هو الله ، والآخر فقير مرزوق يحتاج إلى الله عز وجل في بقائه ، وهكذا ..

ولو فرضنا أنهما كانا قويين بذات المستوى فسيخلق كل منهما ما يريده دون أن يمنعه الآخر ، فيوجد حينئذ في الكون نمطان من الخلق ، وينعدم الانسجام لتعدد الإرادة . ولو تعددة الإرادة لحصل التنازع على الخلق ، فلا يوجد المعلول لعدم وجوب علته . فوجود الكون بهذا التناسب والإتقان كافٍ في إثبات وحدانية الخالق عز وجل .

تخيل لو أن لشخص واحد إرادتين ؛ إحداهما تأمره أن يذهب والأخرى تأمره أن يبقى . ما الذي سيحصل له ؟

هذا فضلاً عن البرهان الفلسفي القاضي بأن واجب الوجود لا يكون إلا واحداً .

ثم إن التوحيد مراتب ودرجات نتحدث عنها إن شئت .

مراتب التوحيد

• المتفكر : ما هي مراتب التوحيد ، وما هو اللازم منها في تحقق الإيمان بوحدانية الله عز وجل ؟

▪ **الجواب :** اللازم في عقيدة

التوحيد أمور أربعة :

1- التوحيد في الذات :

وذلك بأن نؤمن أن الله تعالى واحد بذاته ، فلا ذات أخرى غير ذاته عز وجل، أي لا شريك له ولا عديل ، وليس له كفؤ .

2- التوحيد في الصفات :

وذلك بأن نعتقد أن صفاته هي عين ذاته لا أن الذات شيء والصفات شيء آخر عارض عليها، فإن ذلك يستلزم التركيب من الذات والصفات . والمركب محتاج إلى أجزائه وقابل للفناء بالتفريق بين هذه الأجزاء ، والله غني عن كل شيء ، وأبدي غير قابل للفناء ، فهو بسيط الحقيقة .

3- التوحيد في الأفعال :

وذلك بأن نؤمن بأن المتصرف بهذا الكون من ناحية الخلق والرزق والتدبير وفي كل فعل يصدر عنه تعالى هو إله واحد أحد لا شريك له في ذلك .

4- التوحيد في العبادة :

بمعنى أن من يستحق العبادة والطاعة هو إله واحد لا غير ، فلا تجوز عبادة غيره مهما كان .

صفات الله تعالى

- **المتفكر : ما هي صفات الله تعالى**

؟

▪ **الحكيم** : لله عز وجل نوعات من الصفات هما :

1- صفات الذات :

وهي الصفات التي يوصف بها تعالى ، ولا يصح اتصافه بأضادها في حال من الأحوال ، ولا تنفك عنه أبداً . فهي قديمة بقدمه ، بل هي عين الذات كما أشرنا سابقاً . وهي خمس صفات : العلم والقدرة والحياة والإدراك والأزلية .

فهو تعالى في وجوده عين العلم ، وفي علمه عين القدرة ، وفي قدرته عين الحياة ، وفي حياته عين الإدراك ، وفي إدراكه أزلي لا يفنى ولا يزول ، فكل هذه الصفات مجتمعه ليست إلا شيئاً واحداً اسمه **"الله"** بمعنى الذات المستجمعة لجميع الصفات الكمالية تبارك وتعالى .

ولمجرد تقريب فكرة تعدد الصفات في عين وحدة الذات إلى الأذهان نقول :

هب أن أمامك كتاباً موضوعاً على طاولة . فلو قلت عنه : إنه على الطاولة ، وهو في الوقت نفسه تحت السقف ن وبذات الحال إلى جانب القلم ، فليس معنى قولك هذا أن هناك ثلاثة كتب ، وإنما هو كتاب واحد بسيط وغير مركب من هذه الصفات الثلاث .

2- صفات الأفعال :

وهي الصفات التي تتصف بها الذات عند صدور فعل ما عنها ، فلا مانع أن تتصف هذه الذات بأضداد هذه الصفات . وعليه فهي لا تلازمها ملازمة صفات الذات بل تفارقها تارة ، وتعود إليها أخرى . كل ذلك بملاحظة ما يصدر عنها من عمل . وذلك مثل التكلم والخلق والإرادة والرزق . الخ . فإذا صدر عن الذات كلام وصفت بالمتكلمة ، ولم تكن قبل ذلك متصفة بهذا الوصف ، وإذا خلق الله خلقاً اتصف تعالى بصفة الخالقية ، ولم يكن قبل ذلك خالقاً ، وهكذا ..

• **المتفكر : ما هي الصفات السلبية والصفات الإيجابية ؟**

▪ **الحكيم** : تنقسم صفات الذات إلى قسمين :

1- الصفات الإيجابية :

وهي التي تثبت للذات صفة ما كالعلم ، فنقول : الله عالم ، ومثل ذلك الاتصاف بالقدرة والحياة وغيرهما . وتسمى هذه الصفات بصفات الجمال والإكرام .

2ـ الصفات السلبية :

وهي التي تنفي عنه صفة ما ، فتنزهه عن هذه الصفة بنفيها عنه ،

وذلك كوجود شريك له تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وكوجود التركيب في ذاته أو وجود ولد له ونحو ذلك . قال تعالى { **قل هو الله أح ، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** }[1] .

● **المتفكر : ما معنى أن الله عز وجل أزلي ؟**

▪ **الحكيم :** معناه أنه قديم لا بداية له، وسرمدي دائم إلى ما لا نهاية، فهو موجود قبل أن توجد الأشياء بل قبل المكان والزمان، بل هو عين الوجود لا أنه شيء حصل له الوجود ، وهذا ما يعبر عنه بأنه واجب الوجود ، وأن الوجود ذاتي له ، بل هو عين الذات . ويبقى إلى ما بعد فناء الأشياء وتوقف دورة الزمن ، بل يستحيل عليه الفناء فالأزلي هو الذي يحيط بالزمن ، ولا يحيط الزمن به ، فلا يمكن لنا أن نتصور زمناً لم يكن الله فيه ولا زمناً لا يكون فيه .

سئل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : متى كان ربك ؟ فأجاب : ... ومتى لم يكن؟[2]

ولكي تتمكن من تخيل ما لا بداية له ولا نهاية ، فكّر بالأعداد

1ـ سورة الإخلاص ، آي 1 ـ 4 .

2ـ أصول الكافي ، ج1 ، باب 28 ، ح5 ، ص 145 .

الموجودة بين أيدينا ، مع الفارق طبعاً بينها وبين الواجب تعالى .

فرقم صفر هو حد وسطي بين -1 و +1 ، وكل منهما بداية سلسلة من الأعداد لا تقف عند حد ، فمهما تزيد من أعداد تجد أن المحصل لا يزال قابلاً للزيادة إلى ما لا نهاية، وهكذا الأزلي والسرمدي الذي لا بداية له ولا نهاية ، فـ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

• **المتفكر : هل كلام الله تعالى ، ومنه القرآن ، أزلي أم حادث ؟**

▪ **الحكيم** : قلنا : إن التكلم صفة من صفات الأفعال ، وعليه فهي صفة حادثة وليست أزلية . والدليل على ذلك أن الكلام مركب من حروف ، والحروف أمور يستجد انضمامها وتفرقها ليولّد كلاماً . وليست الذات القدسية محلاً للحوادث ، وإلا لكانت حادثة ، حيث لا يمكن أن يقوم الحادث بالأزلي لاحتلاف السنخية بينهما . وإنما صح اتصاف الله عز وجل بالمتكلم لأنه يُوجِد الكلام ، ويخلقه في جسم من الأجسام الحادثة كما أوجده في الشجرة أو في النار عندما كلم سبحانه موسى عليه السلام على جبل الطور .

قال الإمام الصادق جعفر بن محمد

عليهما السلام :

«إن الكلام صفة محدثة ، ليست بأزلية . كان الله عز وجل ولا متكلّم»[1] .

• المتفكر : هل الله تبارك وتعالى جسم كبقية الأجسام، كما يظهر من بعض الآيات التي تثبت له يداً ووجهاً ونحو ذلك مما ظاهره الجسمية؟

▪ الحكيم : تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فهو عز وجل ليس بجسم ويستحيل أن يكون جسماً ، إذ للجسم أبعاد محدودة مكانية وزمانية منها الطول والعرض والعمق ، ولا يكون الشيء جمساً إلا بها ، فهو مركب منها ، وليس الله تبارك وتعالى مركباً ، إنما هو بسيط الحقيقة كما أسلفنا وإلا لاحتاج إلى أجزائه ، وهو غني ، ولا يتحدد في مكان وزمان، وهو فوق كل ذلك .

روى المبرد في الكامل قال : قال قائل لعلي بن أبي طالب عليه السلام :

«أين سؤال عن مكان . وكان الله ولا مكان»[2] .

وأما الآيات التي ظاهرها الجسمية كقوله تعالى : { **يد الله فوق**

1ــ أصول الكافي ، ج1 ، ص 107 .

2ــ الكامل ، ج2 ، ص 59 .

أيديهم}[1] ، {**كل شيء هالك إلا وجهه**}[2] ، وقوله تعالى : {**بل يداه مبسوطتان**}[3] ، وكذلك قوله عز من قائل : {**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**}[4] ، وغير ذلك فلا ريب أنها من المتشابهات التي قال تعالى عنها : {**منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم**}[5] ، وبالتالي لا بد من إرجاعها إلى المحكم كقوله تعالى : {**ليس كمثله شيء**}[6] ، وذلك بحملها على خلاف ظاهرها بما يتناسب مع الآيات المحكمات .

ولكي نفهم مغزى هذه الآيات المباركات لا بد من التنبُّه إلى الطريقة التي خاطب بها القرآن الناس . فمن المعروف أنه نزل بلغة العرب ، وكان لهم طريقة معينة في التحاور والتخاطب، ولكي يفهم هؤلاء

1ـ سورة الفتح ، آية 10 .

2ـ سورة القصص ، آية 88 .

3ـ سورة المائدة ، آية 64 .

4ـ سورة الطور ، آية 48 .

5ـ سورة آل عمران ، آية 7 .

6ـ سورة الشورى ، آية 11 .

كلام الله خاطبهم بذات طريقتهم واتبع أسلوبهم نفسه . وكان من أساليبهم البيانية أنهم يكنّون عن ذات الشيء بوجهه لأنه أبرز ما فيه ، وعن القدرة باليد إذ هي مظهر تجليها ، وعن المكان الحصين المحمي جيداً بالعين إذ هي محمية بالأجفان ، فتراها تنطبق تلقائياً لتمنع وصول الأذى إلى العين وكذلك يكنُّون عن الكرم ببسط اليد وعن البخل بغلّها .

والذي يشهد لصحة تفسير هذه الآيات بما ذكرنا أننا لو حملنا مثلاً الوجه في قوله : {**كل شيء هالك إلا وجهه**}[1] ، على الوجه الحقيقي المتعارف للزم أن يكون معنى الآية أن الله تعالى يهلك ، ولا يبقى إلا وجهه، وهو معنى فاسد قطعاً . وكذلك الحال في الآيات الأخرى .

فلا بد لأجل تصحيح المعنى من الحمل على خلاف الظاهر .

تُرى لو ادّعى أحد أن من كان في هذه الحياة أعمى البصر سيكون يوم القيامة أعمى ، ويحشر مع الكافرين ولو كان في حياته مؤمناً تقياً . وذلك لقوله تعالى : {**ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا**}[2] . أكان يقبل بقوله هذا أحد

1ـ سورة القصص ، آية 88 .

2ـ سورة الإسراء ، آية 72 .

من المسلمين؟ من المسلَّم به عدمه . وما ذلك إلا لأنهم يفسرون "الأعمى" بخلاف ظاهره ، ويقولون : إن المراد من الأعمى هنا "من كان ضالاً وأعمى القلب والبصيرة" . وهذا صحيح، ولكن نسأل: لماذا قبلنا هنا حمل الكلام على خلاف ظاهره ليصح المعنى ، ولا نحمله هناك كذلك لتنزيه الله عز وجل عن تفاهات "الحشوية" .

رؤية الله تعالى في الآخرة

• **المتفكر : على هذا هل يبقى بالإمكان رؤية الله تعالى في الدنيا أو الآخرة كما يوجد في بعض الروايات ؟**

▪ **الحكيم** : لمّا لم يكن الله عز وجل جسماً لم يكن محدوداً في مكان دون مكان ، ولا في زمان دون زمان ، وعلى هذا فهو ليس شيئاً واقعاً تحت الحواس لندركه بها ، وإنما هو حقيقة تدرك بالعقول كما بيَّنتُ لك آنفاً . وبمجرد أن قلنا : يمكن رؤيته في الدنيا أو في الآخرة بالعين ، نكون قد جسّمناه وحددناه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وعندما يحكم العقل باستحالة رؤيته تبارك وتعالى لا يبقى للروايات مجال ليصغى إليها، ويكون حكم العقل بالاستحالة دليلاً على أنها

روايات موضوعة ، ومن غير المعقول أن تكون صادرة عن النبي (ص) ، من هنا هي مرفوضة جملة وتفصيلاً .

• المتفكر : إذن ما معنى قوله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} [1]؟

▪ الحكيم : لقد توهم بعض من لا علم له بطريقة مخاطبة القرآن للناس بأن الآية دالة على أن الناس ينظرون بأعينهم إلى الله عز و جل في اليوم الآخر . ونحن إذا دققنا فيها أدركنا أن الآية غريبة عن هذه الدعوى بالكلية . فكلمة ناظرة هنا ليست مأخوذة من النظر ، وإنما من الانتظار ، وعليه يصبح معنى الآية :

وجوه المؤمنين تكون يوم القيامة مشرقة مستبشرة تنتظر من ربها أن يعطيها ما وعدها من الأجر والثواب .

واستعمال كلمة "ناظر" بمعنى "منتظر" كثير في لغة العرب ومن ذلك قول الشاعر :

إني إليك لما وعدت لناظرٌ
نظرَ الفقير إلى الغني الموسرِ

أي أنا أنتظر عطاءك كما ينتظر الفقير عطاء الغني .

ومن ذلك ما ذكره الزمخشري في تفسيره «الكشاف» من أنه سمع امرأة

1ـ سورة القيامة ، آية 22 و23 .

عربية تستجدي وتقول : **"عُيينتي نويظرة إلى الله و إليكم" .**

فعلق على ذلك بقوله :

"تقصد أنها راجية ومتوقعة لإحسانكم إليها"[1] .

وعلى هذا المنوال لا بد من تفسير الآيات أو الروايات الصحيحة التي توهم بظاهرها خلاف ما يقطع به العقل من استحالة رؤية الله المجرد المطلق .

• المتفكر : نُسب إلى الله تعالى في القرآن الكريم أمور غير مناسبة لحضرته عز وجل مثل المخادعة والمكر والاستهزاء والنسيان ، فما معنى ذلك ؟

▪ الحكيم : درج العرب في استعمالاتهم البليغة على تسمية الشيء باسم لازمه ، وتسمية الفعل باسم جزائه ، وهو ما يسمونه علماء البلاغة بالمجاز المرسل ، فنراهم يقولون مثلاً : أكل فلان دم ابنه، أي ديّته ، وذلك لأن الدية هي جزاء إراقة الدم .

وقال تعالى : {**إن الذين يأكلون أموال اليتامى إنما يأكلون في بطونهم ناراً**}[2] .

فسمى ما يأكلونه من طيبات ولذائذ

1ـ تفسير الكشاف ، ج4 ، ص 662 .

2ـ سورة النساء ، آية 10 .

ناراً باعتبار أن جزاءه النار .
ونسبة المخادعة والمكر والاستهزاء إليه عز وجل من هذا الباب ، إذ جزاء مكرهم أن يلاقوا عذاباً من الله وبلاء وعقوبة ، فسمي ذلك مكراً كما سميت الدية دماً بعلاقة أن هذا العذاب هو جزاء المكر .

وأما النسيان فهو في الآية بمعنى الترك ، قال تعالى :

{**نسوا الله فنسيهم**} [1] .

أي تركوا طاعته فترك توفيقهم للثواب والرحمة .

تعدد الصفات والأسماء الحسنى

• **المتفكر : إذا كان الله تعالى بسيط الحقيقة فما معنى تعدد الصفات والأسماء الحسنى ؟**

▪ **الحكيم** : تقدم الحديث عن الصفات وأنها صفات ذات وصفات أفعال وعددناها ، وأما الأسماء الحسنى فقد ورد في الروايات أن الله عز وجل سمّى نفسه في كتابه المجيد بعدد من الأسماء بلغت تسعاً وتسعين اسماً عرفت بأسماء الله الحسنى ، وهي بالإضافة إلى "الله" : الإله ، الواحد ، الأحد ، الصمد ، الأول، الآخر، السميع ،

1ـ سورة التوبة ، آية 67 .

البصير ، القدير، القاهر ، العلي، الأعلى، الباقي، البديع ، البارئ ، الأكرم ، الظاهر، الباطن، الحي ، الحكيم، العليم، الحليم، الحفيظ، الحق، الحسيب، الحفي، الرب، الرحمن، الرحيم، الذارئ، الرازق، الرقيب، الرؤوف، الرائي، السلام ، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، السيد، السبوح، الشهيد، الصادق، الصانع، الطاهر، العدل، العفوّ، الغفور، الغني، الغياث، الفاطر، الفرد، الفتاح، الفالق، القديم، الملك، القدوس، القوي، القريب، القيوم، القابض، الباسط، قاضي الحاجات، المجيد، المولى، المنان، المحيط، المبين، المُقيت، المصور، الكريم، الكبير، الكافي، كاشف الضر، الوتر، النور، الوهاب، الناصر، الواسع، الودود، الهادي، الوفي، الوكيل، الوارث، البر، الباعث، التواب، الجليل، الخبير، الخالق، خير الناصرين، الديان، الشكور، العظيم، اللطيف، الشافي .

وهناك روايات أخرى ذكرت أسماء الله الحسنى بغير هذا النص مع اختلاف يسير .

وقد وضع علماء الإسلام كتباً خاصة تناولت شرح معاني هذه الأسماء المقدسة فإن شئت فراجع .

والمهم قوله هنا هو أن تعدد

الأسماء والصفات لا يكشف بالضرورة عن تعدد المسمى ولا عن تركبه، فهذا رسول الله (ص) شخص واحد ويسمى بأسماء عديد مثل : أحمد، محمد، طه، يس، المصطفى، المختار، الهادي، المحمود ... الخ .

نعم، تعدد الأسماء والصفات يدل على وجود معانيها فيه وهذا أعم من كونها على نحو التركيب أو الممازجة أو العينية أو غير ذلك، وهي في الله تعالى على نحو العينية فصفاته عين ذاته .

المجلس الثالث

في بيان العدل الإلهي

معنى العدل

• **المتفكر: ما هو العدل، وما هو وجه الخلاف بين المسلمين حوله ؟**

▪ **الحكيم** : العدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، والظلم بخلاف ذلك . وعندما نقول : إن الله عادل ، نعني بذلك أنه تعالى هو عين العدل، فلا يمكن أن يصدر عنه غير العدل، تماماً كما لا يمكن أن يصدر عن البياض سواد أو عن النور الظلمة .

وقد أخذ الحديث عن صفة العدل الإلهي حيزاً مهماً من الجدال بين الفرق الإسلامية في علم الكلام ، حيث أنكرها الأشاعرة ، وأثبتها المعتزلة والشيعة .

وبما أنهم ، أي الشيعة والمعتزلة ، يرون أن الإخلال بتفسير صفة العدالة الإلهية يؤدي إلى زوال الدين وانهدامه حتى لا يبقى منه إلا الاسم ركزوا على هذه الصفة فجعلوها أصلاً من أصول الدين ، وإن كانت في الواقع من متممات التوحيد ، إذ هي صفة من صفات الله عز وجل .

وجه الخلاف يعود في جوهره إلى ما يعرف بالتحسين والتقبيح العقليين ، وأنه هل في الأشياء حسن وقبح واقعي أم أن حسنها وقبحها مجرد أمور اعتبارية تختلف من شخص إلى آخر ؟ ثم على فرض وجود حسن وقبح فعليين واقعيين هل للعقل أن يدركهما أم أن الشارع المقدس هو الوحيد الذي يعرفهما وعقولنا قاصرة عن ذلك .

من هنا ذهب الأشاعرة إلى إنكار وجود حسن وقبح بعيداً عن رأي الشارع الذي هو عالم بالأشياء وبمصالحها ومفاسدها ، وأنكروا قدرة العقل على إدراكها على فرض وجودها . وبعبارة موجزة أنكر الأشاعرة الحسن والقبح العقليين ، وقالوا : الحَسَن ما حسَّنه الشارع والقبيح من قبّحه الشارع .

في مقابل ذلك ذهبت العدلية ، أي الشيعة والمعتزلة إلى وجود حسن وقبح في الأشياء كما هو حال الظلم فإنه قبيح بغض النظر عن رأي الشارع فيه ، وكالعدل فإنه حسن بغض النظر عن رأي الشارع فيه ، وبالتالي فإن العقل يمكنه أن يدرك هذا الحسن والقبح بشكل مستقل عن تحسين الشارع وتقبيحه للأشياء .

الوجه في كون العدل أصلاً

• **المتفكر: لماذا يؤدي الإخلال بتفسير العدل الإلهي إلى انهدام الإسلام مع أن العدل صفة من صفات الله تعالى ويجري عليه ما يجري عليها ؟**

▪ **الحكيم** : إذا فسرنا العدل بأنه كل ما يأمر به الشارع، وأنه ليس لعقولنا دور في إدراكه وتمييزه عن الظلم وجب علينا أن نسأل: كيف لنا أن نعرف ما أمر به الشارع وما نهى عنه لنعرف ما حسَّنه وما قبَّحه ؟ ومن البديهي أن الجواب سيكون :

بمراجعة القرآن الذي هو كلام الله تعالى نعرف ما أمر به وما نهى عنه، وبالتالي نعرف ما هو قبيح و ما هو حسن .

فيعود السؤال هكذا: ماذا نعمل في ما لم يذكره القرآن أو ذكره واختلفنا على تأويله .

من البديهي أن الجواب سيكون: نلجأ إلى السنّة الشريفة فما أمرتنا به كان أمراً من الله، فهو ، حسن وما نهتنا عنه كان قبيحاً .

وسنسأل ثالثاً : كيف لنا أن نحدد السنة ما دامت لا توجد في كتاب محدد متواتر بين المسلمين كما هو حال القرآن ؟

وهنا سيكون الجواب: السنّة يحددها

رواة الحديث الثقاة الذين يروونه مسنداً ومتصلاً إلى النبي (ص) .

وهنا يصير بإمكان كل صحابي أن يدّعي أنه سمع من النبي أنه أمر بكذا ونهى عن كذا ، فينفتح الباب على مصراعيه أمام الكذب والوضع والافتراء ، ويصبح الإسلام كله فضلاً عن الحسن والقبح رهينة ما يرويه أبو فلان وابن فلان، وتعطل العقول ، ويُتَّبع رواة الحديث .

فإذا اشترى الظلمة بعض هؤلاء الرواة بالمال والمناصب الرخيصة ليرووا لهم الروايات التي تعطي الشرعية لحكمهم وتبرر أفعالهم يصير كل ما يفعله الحاكم الظالم أو يأمر به عين العدل ، ومخالفة ما يأمر به عين الظلم ولو كان فعله هذا من أقبح الظلم في نظر العقل البشري .

وهكذا يصبح الإسلام ألعوبة بيد الحكام الظلمة يضيفون إليه ما يشاءون، ويحذفون منه ما يشاءون . فيتحول الإسلام تدريجياً من دين سماوي وضع الله تعالى أركانه ودعائمه إلى دين هزيل مفصَّل على قياس الحاكم الظالم ومصالحه .

وهذا ما حصل بالفعل . فليراجع التاريخ . ولولا أن تدارك الأئمة المعصومون عليهم السلام هذا الأمر ، وبيّنوا لنا أهمية العدل كركيزة أساسية من ركائز الإسلام لما وصل لنا

من الإسلام إلا اسمه .

إثبات الحسن والقبح العقليين

• **المتفكر: كيف لنا أن نثبت الحسن والقبح العقليين ؟**

▪ **الحكيم** : الحسن هنا ليس بمعنى الجمال والشكل المتناسق ، وإنما بمعنى : ما ينبغي في نظرهم تركه . وهذا ما يسمونه بمدركات العقل العملي .

والعدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، وهو مما يرى العقلاء أنه ينبغي فعله حتى لو فرضنا عدم وجود مشرِّع أصلاً .

وبعبارة أخرى : العقل العملي يدرك أن العدل مما ينبغي فعله سواء أمر الشارع به أم لم يأمر ، وأن الظلم مما ينبغي تركه سواء نهى عنه أم لم ينه، ودليلنا على ذلك هو :

أولاً: الوجدان المستقيم، فإنه يقضي بما ذكرنا فيما لو كان خالياً من شوائب المصلحة أو الخوف أو الانحراف ونحو ذلك .

وثانياً : لزوم انهدام الإسلام وزواله فيما لو عطلنا دور العقل وقصرنا النظر على النقل الذي هو عرضة للوضع والدس .

ولا يخفى عليك، أيها المتفكر، أن قضية التحسين والتقبيح العقليين

منحصرة في مسألة العدل والظلم .

• **المتفكر: على هذا يصير العقل هو الذي يحدد ما يجب على الله تعالى فعله وما لا يجب، مع أن الله تعالى يقول : {لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون}** [1] .

▪ **الحكيم** : ليس ما يقوم العقل به بالنسبة لأفعال الله تعالى سوى إدراك ما هو موجود ، لا أنه يفرض عليه أحكاماً أو يضع قيوداً . فالله تعالى لا يصدر عنه إلا ما هو حسن ، وذلك لا لأنه أمرنا به فصار حسناً كما قال الأشاعرة ، فإن في ذلك تعطيلاً لدور العقل ، وإنما لأن هذا الفعل هو حسن ذاتاً وواقعاً وتكويناً . والعقل أدرك أن هذا حسن واقعاً، فالتقى الأمران إدراك العقل وفعل الله تعالى .

فكلا الطرفين متفقان على أن الله تعالى عادل ولا يصدر عنه ظلم البتة ، ولكن الفرق بينهما هو في المقياس الذي نعرف ذلك بواسطته ، هل هو العقل أو النقل . ولا يظهر في الفرق بين المقياسين في صفة العدل الإلهي وإنما يظهر في أمور أخرى كما أشرنا .

من هنا لا تتنافى الآية الشريفة مع القول بالحسن والقبح الذاتيين

1ـ سورة الأنبياء ، آية 23 .

إطلاقاً ، فضلاً عن أن الآية غريبة عن موضوعنا بالكلية .

أدلة العدل الإلهي

• **المتفكر: ما الدليل على أن الله تبارك تعالى لا يصدر عنه ظلم أبداً ؟**

▪ **الحكيم** : ذكروا عدة أدلة على ثبوت العدل واستحالة صدور الظلم عن الله تعالى :

منها : ما تقدم من أن العقلاء يدركون بعقلهم العملي أن العدل حسن والظلم قبيح ، والله تعالى هو الذات المستجمع لجميع الصفات الكمالية، فمن المستحيل أن يصدر عنه قبيح ، كما يستحيل أن يصدر عن النور ظلمة .

ومنها : أن الداعي الذي يدعو إلى الظلم غير موجود لدى الذات المقدسة ، حيث إن الداعي له لا يخلو من أحد أمور ثلاثة : الحاجة أو السفاهة أي عدم الحكمة أو الجهل . والكل منتف في حقه تعالى؛ أما الأول فلأنه هو الغني المطلق الذي لا يحتاج إلى شيء حتى يحتاج إلى الظلم ، "وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيفُ"[1] .

1ـ بحار الأنوار ، ج87 ، باب 12 ، ح11 ، ص 203 .

وأما الثاني فلأن الله حكيم فلا تصدر عنه سفاهة ، والحكمة تقتضي العدل، بل هو عين الحكمة فلا تقتضي الظلم أيضاً ، وإلا لزم التضاد .

وأما الثالث فلأن الله تعالى عين العلم فكيف ينسب إليه الجهل .

وعلى هذا فلا يمكن بوجه من الوجوه أن يصدر عن الله تعالى ظلم لأحد .

شبهة خلق الشرور

• **المتفكر: إذا كان من المستحيل أن يصدر عن الله تعالى إلا ما هو خير وعدل فما علة وجود هذه الآفات والشرور التي نراها في عالمنا هذا ؟**

▪ **الحكيم** : لا بد أن نعلم أن الخير والشر أمران نسبيان ، بمعنى عدم وجود خير مطلق في العالم المادي ولا شر مطلق، وكل ما في هذا العالم هو مزيج من الخير والشر تختلف بينهما النسب، فقد يكون في عمل واحد خير كثير وشر قليل ، وربما يكون عكس ذلك . وقد يكون أمرٌ واحد خيراً بالنسبة لقوم وهو شر بالنسبة لآخرين .

ولا ريب أن هناك بعض الظواهر الدنيوية التي ظاهرها أنها شرٌ وآفة وبلاء كالأمراض والأوبئة والزلازل

والبراكين والعواصف والحروب والوحوش والحشرات السامة وغير ذلك . ونحن إذا نظرنا إلى هذه الأمور بما هي هي لـ مال بنا الرأي إلى اعتبارها شراً ومصيبة ، ولكن عندما ننظر إليها نظرة شمولية فنقيسها إلى ما حولها وما قبلها وما بعدها سنرى أنها خيرٌ أيضاً ، وأن السبب الذي استوجب خلقها وإيجادها ليس سوى ذلك الخير ، والشر أمر عارض لم يُرَد ذاتاً .

فلو لاحظنا هذه الأمور كلها ، وربطناها بنظام الكون العام وبضرورة تأمين معايش العباد ، وبأهمية استمرار الحياة وانتظامها على وجه الأرض لوجدنا أنها ضرورية ومفيدة للحياة .

فلولا الزلازل والبراكين لما تفجرت ينابيع الأرض لتعطينا ماء ونفطاً ، ولتخرج لنا كنوزها ذهباً ومعادن ، بل لانفجرت الأرض بما فيها وانعدمت فيها الحياة . ولولا المرض لم نعرف قيمة الصحة ، ولا سعينا لاكتشاف الطب والدواء ، ولولا الحرب والخوف لما أدركنا معنى الأمن والطمأنينة ، ولما برزت في الأمم رغبات الحضارة والرقي وعزائم التقدم والنهوض ، ولولا الموت لما استمرت مسيرة الحياة ، ولولا كل هذه الآفات لم تظهر نعم الله تعالى على البشر عندما

يعيشون بمنأى عنها.

وفي كل مخلوق من مخلوقات الله تعالى جهة خير هي أكبر وأهم من جهة الشر، ولأجلها وبملاحظتها خُلِقَ ، فإذا عرف الإنسان كيف يتجنب ما في هذه المخلوقات من شر نجا وأمن، ولم يجد للشر موضعاً، وإلا فليتحمل مسؤولية سوء عمله . وعدم معرفتنا بوجه الخير فيها أو بطريقة تحصيله لا يعني عدم وجوده ولا نسبة الظلم إلى الله تعالى[1] .

1- ولتتضح لك الفكرة تدبر هذا المثال : عندما تحكم محكمة على قاتل بالإعدام ، فتشنقه أمام الناس يعتبر كثير من الحاضرين ، وخصوصاً معارفه وأقرباءه أن هذا ظلم واجحاف في حقه . فتأخذهم الشفقة ، وتسيطر عليهم العاطفة ، وذلك لأنهم قصروا النظر على جهة واحدة فقط ، وهي موت هذا الإنسان بهذه الطريقة البشعة .

ولكنهم لم ينظروا بالمنظار نفسه الذي نظرت به تلك المحكمة، حيث رأت أن هذا الرجل قاتل، ويشكل خطراً مهماً على المجتمع، ويهدد حياة الناس وأمنهم ، وأنه لو تُرك على رسله لقام بالمزيد من سفك الدماء . ولجرأ ذلك غيره من ذوي النفوس الضعيفة ليحذوا حذوه ، فيكثر في المجتمع القتلة ، وتعم الجريمة ويتحول الأمن إلى خوف والطمأنينة إلى اضطراب . من هنا كان لا بد من إعدامه لتخليص المجتمع من شره .

فبحسب هذه النظرة يكون ما قامت به هذه المحكمة عين العدل ، ويكون خيراً كبيراً

شبهة خلق المعاقين والمرضى

• **المتفكر: كيف نفسر ولادة الأطفال المعاقين ، وهم لم يرتكبوا ذنباً بعد، أليس هذا ظلماً لهم ؟**

▪ **الحكيم** : نعم هو ظلم ، ولكن مَن هو الظالم هنا؟ ليس الذنب هنا ذنب الأطفال قطعاً، إذ لم يقوموا بما يتحقون عليه هذه العقوبة ، وليس ظلماً من الله عز وجل إذ لا داعي لديه ليظلمهم، ولا فائدة له في ظلمهم، فضلاً عن استحالة صدوره منه عز وجل ، وإنما هو ظلم لهم من قبل أهلهم ووالديهم أو من قبل محيطهم وبيئتهم ، حيث أخطأ بعض هؤلاء في أمر ما عن قصد أو عن غير قصد فأدى ذلك إلى خروج الولد معاقاً أو مشوَّهاً ، تماماً كما يخرج الخبز من بين يدي الخباز الماهر فاسداً فيما إذا كان العجين فاسداً أو الماء أو النار ، أو اختل أي شيء من شرائط الجودة .

ولعلك تقول : إذا أذنب الوالدان فلماذا لا يعاقبان هما على ذلك، ولماذا يكون جزاؤهم أن يولد الولد معاقاً مما يفسد عليه عيشه ، وينغص

للمجتمع كله ، وإن كان يبدو لأول وهلة خلاف ذلك .

حياته ؟

ولكنني أقول: إن كل ذنب له عقوبة متناسية معه، فالقاتل يُقتل والسارق تُقطع يده، والزاني يُجلد أو يُرجم وهكذا، ومن الذنوب ما تكون عقوبته فساد النطفة .

فمثلاً عندما يرد في الروايات نهي عن النظر إلى الفرج فإنه يُعلل بأنه يؤدي إلى ولادة الطفل أعمى، وعندما يُنهى عن الكلام أثناء الجماع بغير ذكر الله يعلل بأنه يؤدي إلى ولادة الطفل أبكم ، وهكذا عندما لا يراعي الوالدان الأصول الصحية في موضوع الحمل، أو يفرطون في التدخين وشرب المسكرات أو المخدرات ونحو ذلك سيؤثر كل هذا على المولود فيكون الأهل قد جنوا على ابنهم، وظلموه بجهلهم وتعنتهم ، وهذا معنى قوله تعالى :

{**وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**}[1] .

أي كانوا يظلمون ذاتهم ، ويظلمون بعضهم بعضاً[2] .

1ـ سورة الروم ، آية 9 .

2ـ لنعد للحظة إلى المثال الوارد في حاشية السؤال السابق . فعندما قتل ذلك القاتل ترمّلت زوجته . وتيتم أطفاله . وثُكلت أمه ، فما ذنب هؤلاء ليعيشوا حياتهم دون كفيل ؟ إن

وما يقال في الوالدين يقال في البيئة والمحيط والمجتمع .

شبهة خلق الحيوانات الضارة

• **المتفكر: فما بالنا نرى في هذا الوجود حيوانات مفترسة وحشرات كثيرة الأنواع عديمة الفائدة ؟ أين الحكمة والمصلحة في وجودها ؟**

▪ **الحكيم :** لا يتضح لنا وجه الحكمة في ذلك إلا بأن نعود قليلاً إلى الوراء حيث قلنا: إن عقولنا تقصر عن إدراك ملاكات الأحكام وعن إدراك المصالح الموجودة في كثير من المخلوقات . وعدم إدراكنا لشيء لا يعني أبداً عدم وجوده . والأمر هنا من هذا الباب، فالله تعالى وإن خلق أنواعاً كثيرةً جداً من الحيوانات إلا أن لكل منها فائدة خاصة ونفعاً

المذنب الأول والأخير هنا هو هذا الرجل القاتل لا المحكمة ، إذ هو الذي اختار لنفسه هذا المصير . واختار لأولاده اليتم والتشرد والحرمان من عطف الأب وحنانه . فهو ظالم لهم .

ونحن لا ننكر وقوع الظلم من العباد للعباد، وإنما نقول باستحالة صدور الظلم عن الله تعالى، قال عز من قائل :{ **فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**} .

معيناً، كما أن فيها ضرراً من بعض الجهات ، شأنها في ذلك شأن الإنسان نفسه، فرب إنسان هو أضر على المجتمع من الوحوش الكاسرة .

ومن هذه المنافع ما أدركه العلم، ومنها ما لم يدركه بعد، فمن الحشرات ما عمله نقل اللقاح من شجرة إلى شجرة ، ومن الأفاعي ما وظيفته تنظيف السهول والمزارع من الفئران الضارة بهذا الزرع، ومن الزواحف ما ينفع كدواء لبعض أمراض الإنسان ، وهكذا ..

هذا فضلاً عن منفعة الاتعاظ والاعتبار والتعرف على قدرة الله تعالى التي لا حد لها ولا نهاية .

ولا يمكن لنا الغوص في الحديث عن هذه الأمور بشكل تفصيلي في هذا المجلس القصير .

ويمكن لك إذا أردت المزيد من التفصيل مراجعة الكتب المختصة ككتاب الحيوان للجاحظ وكتاب حياة الحيوان للدميري للوقوف على منافع الحيوانات ومضارها .

والخلاصة: ليس من الحكمة أن ننكر ما لا يقع تحت حواسنا وما لا تدركه عقولنا التي لا تزال في طور النمو والاستكشاف . ولا تزال أسرار الكون غامضة بأكثرها عند أصحاب العقول الجبارة فكيف بنا نحن !!

العلماء وحدهم يعلمون أنهم كلما

ازدادوا علماً كلما أدركوا أنهم لا يعلمون من أسرار هذا الكون إلا الشيء اليسير والنذر القليل .

وقف إينشتاين ذات يوم على درج مكتبته ، وقال :

نسبة ما أعلم إلى ما لا أعلم كنسبة هذا الدرج إلى مكتبتي .

المثقف

القضاء والقدر

• **المتفكر: ما معنى القضاء والقدر ، وما هي عقيدتنا فيهما ؟**

▪ **الحكيم :** القَدَر لغةً تقدير الشيء وتحديده من جهة طوله وعرضه ووزنه وعدده ومدته ونحو ذلك . والقضاء على لغة هو إنفاذ الأمر بعد إحكامه وإتقانه وتقديره . وعلى هذا يكون معنى القدر والقضاء في الإسلام أن الله سبحانه وتعالى عندما يريد أن يخلق شيئاً لحكمة اقتضت وجوده يقدره ويحدد مواصفاته جميعها، ويضع له قانوناً يعمل على وفقه، هو بالنسبة له بمثابة الخطوط الحديدية بالنسبة إلى القطار فإذا تم التقدير وحان وقت التنفيذ قضى وأمضى ذلك الشيء، فصار أمراً واقعاً ، وخرج من حيّز العدم إلى حيز الوجود على النحو الذي قدّره عز وجل . فالقدر على هذا أشبه شيء برسوم المهندس الذي يريد أن يبني بيتاً مثلاً ، فإنه يضع له الخطة المناسبة والشكل المناسب ، ثم إذا أتقن كل ذلك قضى بوجود هذا البيت فأوجده على وجه الأرض بيتاً واقعياً مطابقاً تماماً لما في الرسم الهندسي .

سُئل الإمام الكاظم عليه السلام، ما معنى "قدَّر" ؟

فقال: «**تقدير الشيء من طوله وعرضه**» .

فقيل له : ما معنى "قضى" ؟

قال : «**إذا قضى أمضاه ، فذلك الذي لا مردّ له**»[1] .

والقضاء والقدر من العقائد الإسلامية الهامة . وقد ورد في الحديث مستفيضاً عن رسول الله(ص) أنه قال :

«**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة: حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله بعثني بالحق، وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتى يؤمن بالقضاء والقدر**»[2] .

والقضاء والقدر على نحوين :

1- قضاء وقدر عينيين:

وهما يتعلقان بالأمور التكوينية كخلق الإنسان والأرض والسماء ونحو ذلك ، فقد قدر اللّه سبحانه وتعالى خصائص وكيفيات هذه المخلوقات ثم أوجدها .

2- قضاء وقدر علميين :

وهما يتعلقان بالسنن والقوانين الإلهية العامة التي وضعها الله تعالى لإدارة الكون، مثل أن يقدِّر عز وجل

1ـ أصول الكافي ، ج1 ، باب 48 ، ح1 ، ص 201 .

2ـ بحار الأنوار ، ج5 ، ص 87 .

أن الإنسان إذا شرب المادة الفلانية السامة فإنه يموت، فعندما يفعل الإنسان كذلك يكون قد أمضى ذلك القدر .

ولا نزاع في القضاء والقدر العينيين لوضوحهما ، وعدم معارضتهما للعدل الإلهي لا ظاهراً ولا واقعاً ، وقد وقع النزاع بين الفرق الإسلامية في العلميين لمعارضتهما للعدل ظاهراً .

وبحسب تفسيرنا لهما نفهم مسألة الجبر والاختيار كما سيأتي .

• المتفكر : هناك من يفسر القضاء والقدر بأن الإنسان مكتوب عليه أن يقوم بكل الأفعال التي تصدر عنه في حياته بحيث يكون ملزماً بها، فهل هذا صحيح ؟

▪ **الحكيم** : لقد ذهب إلى ذلك بعض الفرق الإسلامية، وهم المعرفون "بالمجبّرة"، وقد أخذوا هذه الفكرة عن بعض الحكّام الأمويين الذين كانوا يريدون أن يحكموا الناس دون أن يجدوا منهم أية معارضة، فكانوا يوحون إليهم أنهم، أي الحكام ، مجبورون على ما يقومون به من ظلم، ومكتوب عليهم قتل الناس وتشريدهم واغتصاب حقوقهم، فهم مساكين لا يملكون من أمرهم شيئاً . وكذلك مكتوب على الناس أن يُقتلوا أو أن

يعيشوا فقراء مشرّدين خائفين . فاللوم ، في ما يصيبهم ، يقع على الله عز وجل الذي كتب عليهم ذلك لا على الحاكم الذي هو مجبور على تنفيذ إرادة الله . وبما أن العقل عند هؤلاء معطل ، كما أسلفنا ، فلا يدرك حسناً ولا قبحاً ستكون النتيجة أن ما يقوم به الحاكم من ظلمهم وتشريدهم هو عين العدل، لأنه حسن عند الله بدليل أنه أمر به على حسب ما رواه لهم أبو فلان وابن فلان، بل قد يتمسكون لإثبات الجبر بظاهر بعض الآيات مثل قوله تعالى :

{**قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا**} [1] .

والظاهر أن أول هؤلاء معاوية بن أبي سفيان، فقد أكّد ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة أن معاوية عندما نصّب ابنه يزيد خليفة على المسلمين من بعده اعترض عليه عبد الله بن عمر، لأن يزيد كان رجلاً فاسقاً شارباً للخمر ، فقال له معاوية: إني أحذرك أ نتشق عصا المسلمين، وتسعى إلى تفريق ملئهم ، وأن تسفك دماءهم . وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء، وليس للعباد خيرة من أمرهم [2] .

1ـ سورة التوبة ، آية 51 .

2ـ الإمامة والسياسة ، ج1 ، ص 171 .

والحق أن الله عز وجل لا يجبر الناس على المعصية، ولا يفرض عليهم البؤس والشقاء ، وإنما هو اختيارهم وإرادتهم ، فإن اختاروا الصلاح أفلحوا ، وإن اختاروا الفساد والمعصية هلكوا وشقوا . غاية ما في الأمر أن الله تعالى عالم بمقادير الأمور محيط بها قبل وقوعها كما يعلم المعلم أن تلميذه فلاناً سيرسب أو سينجح . بل هو الذي قدر المقادير والعبد اختار لنفسه ما ناسبه . فهو سبحانه قدّر في غامض علمه أن من يشرب السم يموت، ومن يشرب الدواء يشفى ، والعبد واقف بين هاتين الحقيقتين ، فإن اختار السم قضى الله عليه بالموت تبعاً لاختياره، وإن أعمل إرادته فتناول الدواء قضى الله عليه بالموت تبعاً لاختياره ، وإن أعمل إرادته فتناول الدواء قضى الله عليه بالشفاء والصحة، وهو في الحالتين لم يخرج عن إرادة الله تعالى ، ولم يُصبه إلا ما كتبه الله له ، إذ هو الذي كتب كلا الأمرين ، ولكنه لم يفرض أياً منهما، وترك الخيار في ذلك للإنسان . فالتقدير والقضاء بيد الله عز وجل ، ولكن بعد أن يختار العبد ويُعمل إرادته وسلطنته على نفسه .

وقد عدل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن الجلوس في

ظل حائط مائل إلى الجلوس في ظل حائط مستقيم، فقيل له: يا أمير المؤمنين ، أتفر من قضاء الله؟ فقال عليه السلام: أفر من قضاء الله إلى قدره عز وجل[1] .

أي أفر من قضاء الله علي بالموت إن جلست تحت الحائط المائل فهبط علي إلى قدر الله بالنجاة إم جلست تحت حائط مستقيم .

• المتفكر : هل كان الله تعالى يعلم باختيار هذا العبد للسم قبل وقوعه أم لا؟ إن قلت: لا، فقد نسبت الجهل إلى الله، وهو العالم الذي لا يجهل، وإن قلت: نعم، قلنا: إذا كان الله عزّ وجل عالماً باختيار هذا العبد للسم فليس للعبد بعد أن يختار الدواء، وذلك لأنه لو فعل لزم ثبوت الخطأ في علم الله، وأن علمه غير مصيب ، وما ذلك إلا الجهل الذي فررت منه، فإذن هو مجبور على اختيار السم كي لا ينفك العلم عن المعلوم، وهذا معناه الجبر ؟

▪ **الحكيم** : هذه الشبهة هي أكبر وأهم الشبهات الواردة في هذا المجلس، وهي التي دعت الكثير من المسلمين للقول بالقضاء والقدر بالمعنى المتقدم، وللإجابة عن هذا

1ـ التوحيد ، الصدوق ، ص 369 .

السؤال الهام أجدني مضطراً للتفصيل بعض الشيء فأقول :

إن الأعمال الصادرة عن الإنسان نوعان: نوع يصدر بلا شعور ولا إرادة كعمل الجهاز المعوي، والجهاز التنفسي، وعمل القلب، والدماغ ونحو ذلك، وهذا النوع تعلقت به مـ شيئة الله تعالى بأن يصدر عن الإنسان بغير إرادته ولا اختياره، ولا كلام لنا فيه . ونوع يصدر عن إرادة واختيار، فإن أراد العبد فعل، وإن لم يرد لم يفعل، وهذا ما نلمسه من أنفسنا، فنحن قادرون على أن نشرب السم، وقادرون على عدمه أيضاً بذات المستوى . ومن هذا النوع كل أعمال الطاعة والمعصية .

وتتعلق مشيئة الله تعالى بهذا النوع من الأعمال على أن يصدر عن العبد باختياره وملء إرادته ، فلو صدر شرب السم عن العبد دون اختيار لزم تخلف العلم عن المعلوم وثبوت الجهل في حق الله عز وجل، فلا بد أن يصدر عنه باختياره ليثبت عالم الله .

فإن سألت : ما هو الداعي الذي يدعوه إلى هذا الاختيار، وكيف علم الله عز وجل مسبقاً بأنه سيختار السم ؟

أجبتك بأن دواعي كل فعل موجودة في داخل كل إنسان، إما من جهة الوراثة كالبخل والطمع والطيش وغير ذلك أو من جهة الاكتساب كالعيش في

بيئة طائشة متهورة جاهلة ، فتجتمع عليه الأسباب حتى يرى أن اختيار السم هو أفضل حل للتخلص من حياته الصعبة ، فيختار ويموت . وبما أن الله تعالى يعلم بالخصوصيات الوراثية الموجودة في هذا البشري وبالظروف المحيطة به الداعية له إلى اليأس من الحياة مع عدم وجود عزيمة وإيمان كافيين عنده ، فهو يعلم أنه سيختار هذا العمل القبيح أي شرب السم. تماماً كما يعلم العالِم الفلكي الدقيق أن الشمس ستنكسف بعد ثمانين سنة مثلاً في اليوم الفلاني فوق البلد الفلاني بالمقدار الفلاني لمدة كذا، كل ذلك نتيجة معرفته بالمعطيات والمقدمات والحسابات الدقيقة التي تؤدي إلى هذه النتيجة . فهل يدعي مدع أن الفلكي هو الذي تسبب بالكسوف؟ وهل يخطر ببال أحد أن الله تعالى لا يمتلك ذلك العلم والدقة الكافيين لمعرفة ما سيجري في ملكه؟

هذا فضلاً عن أن الإيمان بالقضاء والقدر بالمعنى المذكور يستلزم الجبر، وبالتالي بطلان بعث الأنبياء وإنزال الكتب ، وبطلان قانون الثواب والعقاب، فلِمَ وجود كل هذه الأمور ما دام المؤمن مجبوراً على إيمانه والكافر مجبوراً على كفره؟ ولماذا البعث والحساب ما دام بإمكان العبد

أن يقول : يا رب: لِمَ تعذبني وأنت الذي كتبت علي المعصية ؟

إن تعذيب هؤلاء على أعمالهم يعني نسبة الظلم إلى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وقد قال عز من قائل : {**وما ربك بظلام للعبيد**}[1] .

• **المتفكر : هل يمكن للإنسان أن يرد قضاء الله، ويغيِّر قدره بيده .**

▪ **الحكيم:** نعم، يتمكن الإنسان في أكثر أمور حياته أن يردّ قضاء الله مستفيداً من قدر الله، وهو في الحالتين ، أراد أو لم يرد، غير خارج عن قدرة الله تعالى ، وإليك هذا البيان :

عند الله تعالى كتابان أثبت فيهما الأشياء والأحداث؛ كتاب أساسي يسمى اللوح المحفوظ ، وهو بمثابة الدستور عند الدول. وكتاب فرعي يسمى "اللوح المحو والإثبات"، وهو بمثابة القوانين عند الدول .

ويختلف أحدهما عن الآخر بنوعية القضايا المكتوبة فيه، ففي اللوح المحفوظ كتبت القضايا على هذا النحو : مَن فعل كذ فله كذا، أو فعليه كذا. وكتب في لوح المحو والإثبات كل ما سيحصل في هذا الكون منذ آدم إلى قيام يوم الدين .

1ـ سورة فصلت ، آية 46.

وبمقدور الإنسان أن يغيِّر ما كتب عليه في لوح المحو والإثبات بالقيام ببعض الأعمال المؤثرة في ذلك والتي نُصّ عليها في اللوح المحفوظ .

فقد ورد عن النبي (ص) أن الصدقة تدفع البلاء، وأن قطع الرحم يقصر العمر، وأن الخُلُق الحسن يدرُّ الرزق، وأن اليمين الكاذبة تقطع النسل، وما شابه ذلك، وعليه فلو قطع صاحب العمر الطويل رَحِمَه لتغير طول عمره وصار قصيراً، فيمحوا الله طول العمر، ويكتب قصره .. وهكذا .

قال تعالى {**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**}[1] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة . وهي هذه الأية :

{**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**}[2] .

وقيل لرسول الله (ص) : رُقى يُستشفى بها هل ترد من قدر الله ؟

قال : «**إنها من قدر الله**»[3] .

وقال تعالى : {**إن الله لا يغير ما**

1ـ سورة الرعد ، آية 29 .

2ـ بحار الأنوار ، ج4، باب 3 ، ح4 ، ص 97 .

3ـ بحار الأنوار ، ج5 ، ص 87 .

بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}[1] .
وقال أيضاً : {ذلك بأن الله لم يكُ مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}[2] .

السعيد سعيد في بطن أمه

• المتفكر: إذن ما معنى ما ورد عن النبي(ص) من أن السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه ؟

▪ الحكيم : هذه العبارة مأخوذة من ظاهر قوله تعالى :

{يوم يأتي لا تَكلَّمُ نفسٌ إلا بإذنه فمنهم شقيّ وسعيد * فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق*خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعالٌ لما يريد * وأما الذي سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ}[3] .

ومما رواه الرازي في تفسيره الكبير عم عمر بن الخطاب أنه قال : لما نزل قوله تعالى : (فمنهم شقي وسعيد) قلت : يا رسول الله، فعلى ما

1ـ سورة الرعد ، آية 11 .
2ـ سورة الأنفال ، آية 53 .
3ـ سورة هود ، آية 108 .

نعمل ؟ على شيء قد فُرغ منه، أم على شيء لم يفرغ منه؟ فقال: على شيء قد فرغ منه يا عمر ، وجفّت به الأقلام، وجرت به الأقدار، ولكن كلٌ ميسَّر لما خُلق له[1] .

ومما رواه الصدوق عن رسول الله (ص) أنه قال: الشقي من شقي في بطن أمه[2] .

وفي معنى السعادة والشقاء احتمالات ثلاثة :

1- أن يكونا جزئين ذاتيين أو لازمين ذاتيين للإنسان، بحيث لا يمكن للشقي أن يتخلص من شقاوته، ولا للسعيد مهما فعل أن يخسر سعادته، كحيوانية الإنسان وناطقيته، أو كزوجية الأربعة وفردية الثلاثة .

وهذا احتمال باطل جداً ، ولا يتوافق مع الآيات القرآنية التي تثبت أن الإنسان مختار مريد، وأنه يمكنه أن يتوب فيكون صالحاً، قال تعالى :

{**إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً**}[3] .

2- أن يكونا عارضين على الإنسان

1_ التفسير الكبير ، ج5 ، ص 93 .

2_ التوحيد ، باب السعادة والشقاء ، ج3 ، ص 356 .

3_ سورة الإنسان ، آية 3 .

إلا أن الله تعالى أرادهما له بإرادته الأزلية، فلم يعد بالإمكان التخلص منهما .

وهذا احتمال ساقط أيضاً، لأنه يستلزم نسبة الظلم إلى الله عز وجل، فهو ظالم للشقي حيث أراد له الشقاء، وألزمه به، ثم عذّبه عليه يوم القيامة، وخلَّده في النار، كما تقول الآية المتقدمة . فباستطاعة هذا العبد أن يحتج يوم القيامة، ويقول : يا رب، لماذا لم ترد لي السعادة كما أردتها لفلان كي أكون مع الذين سعدوا في الجنة ؟

3- أن يكونا عَرضَين مفارقين مرتبطين بسعي الإنسان وكسبه، فمن استطاع أن يتغلّب على هواه فهو السعيد، ومن تحكم به شيطانه فهو الشقي، وهذا المعنى هو الذي تشير إليه الآية . فإن إخبار الله تعالى عن الناس بأن منهم الشقي ومنهم السعيد ليس معناه أنه هو الذي خلقهم كذلك من أول الأمر، وإنما هم الذين وصلوا إلى ذلك في نهاية المطاف نتيجة أعمالهم في الحياة الدنيا .

وأما الرواية المتقدمة عن الرازي فهي مردودة لمخالفتها للدليل العقلي القطعي، وهي أشبه بالإسرائيليات التي تدعو إلى القول بالجبر . ولو تنزلنا وقبلناها نقول : إن المراد بقوله (ص) :

«ولكن كلٌ ميسر لما خُلق له»، أن الإنسان خلق لأجل العبادة وفعل الخير، وهو ميسر لذلك، فلو سعى جاهداً ليغير ما هو فيه لتمكن.

قال تعالى : {**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**}[1].

وقال عز وجل : {**فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى**}[2].

وكذلك رواية الصدوق، فإنها تُحمل على أن السعيد هو مَن علِمَ الله، وهو في بطن أمه، أنه سيعمل صالحاً فيكون صالحاً سعيداً .. وهكذا.

ويشهد لهذا المعنى روايات كثيرة:

منها : ما رواه الصدوق في التوحيد عن محمد بن أبي عمير قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله (ص): الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه. فقال:

الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال الأشقياء، والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل

1ـ سورة الذاريات، آية 56.

2ـ سورة الليل، من آية 5 إلى آية 10.

أعمال السعداء [1] .

وقد أوضحنا سابقاً أن علم الله تعالى يتعلق بأفعال العباد على أن تصدر عنهم باختيارهم ، وليس بجبر منه وإلجاء .

• المتفكر : قد أفهم من كلامك ايها الحكيم أن الإنسان غير مجبور على شيء فهل الإنسان مسيَّر في حياته أم مخيَّر ؟

▪ الحكيم : ذهبت بعض فرق المسلمين إلى أن الإنسان مجبور على كل ما يقول به، فلا يملك من أمره شيئاً ، وقد عُرفوا بالمجبرة . وذهبت فرقة أخرى في مقابل هؤلاء إلى القول بأن الإنسان مخيّر تماماً في كل أعماله، وقد فوّض الله إليه كل أموره، بحيث لم يعد بمقدور الله التدخل فيها لإيقاف ما لا يرضى به، وقد عُرف هؤلاء بالمفوضة .

والحق بطلان كلا هذين المذهبين؛ وذلك لأن الجبر يقتضي أن يكون الله تعالى ظالماً للعباد، وقد أثبتنا بطلانه ، والتفويض يقتضي خروج الله تعالى عن ملكه وسلطانه والقول بما قالته اليهود، قال تعالى :

{وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت

1ـ التوحيد ، الصدوق ، باب السعادة والشقاء ، ج3 ، ص 351 .

أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء}[1] .

أما المذهب الحق فهو "أمرٌ بين أمرين" ، كما قال الإمام الصادق عليه السلام : لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين[2] .

فلا نقول : إن الإنسان مسيَّر ومجبور، فيلزم من ذلك نسبة معاصي البشر إلى الله تعالى، ولا تفويض بالمطلق فيلزم منه إخراج الله تعالى عن سلطانه ومملكته . وهو الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو على كل شيء قدير .

وما يُقصد من الأمر بين الأمرين أن الإنسان مخيّر في كل أعماله الاختيارية ، فيستطيع أن يفعل، ويستطيع أن يترك، وبما أن هذا الاختيار هو من نعم الله وعطاءاته فله ساعة ما يشاء أن يسلبه منه، وأن يتدخل فيمنع وقوع الأعمال التي لا يريدها، مما يجعل اختيار الإنسان مقيّداً بقيد واحد، وهو عدم تدخل القدرة الإلهية على خلاف اختياره . وهو معنى قوله تعالى: {**وما تشاؤون**

1ـ سورة المائدة ، آية 64 .

2ـ أصول الكافي ، كتاب التوحيد ، باب الجبر والقدر ، ح14 .

إلا أن يشاء الله}[1] .

وقوله تعالى: {**وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله**}[2] .

وقوله تعالى: {**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها على أصولها فبإذن الله**}[3] .

ومثل ذلك كثير من الآيات. فلولا إذنُ الله وعدم إعمال سلطنته على خلاف إرادتنا لما استطعنا أن نقوم بأي عمل[4] .

1ـ سورة الإنسان ، آية 30 .

2ـ سورة البقرة ، آية 102 .

3ـ سورة الحشر ، آية 5 .

4ـ وليتضح لك الأمر تدبر هذا المثال : رجل غني بنى لنفسه مصنعاً. ولما رأى أنه من غير اللائق به أن يديره بنفسه انتدب له مديراً يقوم بإدارته وتسيير أموره، وجلس صاحبه بعيداً يراقب سير العمل دون أن يتدخل في صغيرة أو كبيرة . حتى إذا جاء يومٌ و قع فيه المدبر بخطأ جسيم تدخل صاحب المصنع ، وكفّ يد المدير، ومنع من حصول ذلك الخطأ، وهكذا ..

ففي هذا المثال نقطع بأن المدير مخير في كل عمله فإن انتج هذا المصنع إنتاجاً عظيماً فبمهارته وذكائه، وإن تعثرت مسيرة الإنتاج فبجهله وغباوته، فيستطيع صاحب المصنع أن يحاسبه على تقصيره وأن يكافئه على جهوده ، فلم يخرج المدير باختياره عن إرادة صاحب المصنع ، ولم يخرج صاحب المصنع بتولية

المدير وتفويضه عن ملكيته للمصنع وسيطرته عليه .

الموت المحتوم والموت المخروم

• المتفكر: نسمع بوجود نوعين من الموت: محتوم ومخروم فما هو الموت المحتوم، وما هو الموت المخروم؟ ثم ألا ينافي الموت المحتوم الاختيار ؟

▪ **الحكيم** : الموت المحتوم هو الموت الذي لا دافع له وغير قابل للمحو، وهو المستفاد من اللوح المحفوظ، والموت المخروم هو الموت الذي يختطف روح الإنسان قبل أوانه نتيجة عمل صدر عنه، وبالإمكان تأجيل هذا الموت بعمل آخر مضاد للعمل الموجب له . وهذا ما يكون مكتوباً في لوح المحو والإثبات .

فمثلاً مما كتب على الإنسان أنه إذا قطع رَحِمَه فإن عمره سيقصر، وإذا وصل رحمَه فإنه سيطول، فلو أن امرئً أراد لنفسه الموت، فشرب السم، يكون قد اختار لنفسه الموت المخروم، إذ لولا شربه السم لبقي حياً إلى زمن الموت المحتوم، فلو كان واصلاً لرحمه ثم شرب السم مثلاً فقد يُقدر له أن يبدر به أحد الجيران إلى المستشفى فينجو من الموت ببركة ذلك العمل الصالح . وإلى هذا المعنى ترشد الروايات التي حددت آثاراً لكثير من الأعمال الاختيارية .

وأما علاقة الموت المحتوم

بالاختيار فلا منافاة بينهما، وذلك لوقوعه عن مجموعة اختيارات قام بها الإنسان في حياته، وإليك التفصيل :

إن جسم الإنسان مكوّن من مادة، والمادة فانية لا محالة، وعلى حسب قوة هذه المادة وضعفها سيكون طول عمره وقصره إن استثنينا الحوادث التي تدخل في الموت المخروم. وهذه المادة مكوّنة من الطعام الذي يأكله الإنسان ومن ظروف العيش المناخية والبيئية ومما يعرض عليه من هموم وغموم ونحو ذلك، كل هذه الأمور تؤثر في بنيته الجسدية فكثرة شرب الخمر يهدم الجسم، وكذلك إدخال الطعام على الطعام، والإكثار من التدخين واختيار الأطعمة المصنّعة ذوات المواد السامة، فكل هذه الأمور تجعل من جسمه قادراً على الاستمرار إلى وقت معلوم . ثم يفسد نتيجة فساد الأخلاط الموجودة فيه . وهذا أشبه شيء بزيت القنديل . فلو سلمت شعلته عن نفخة نافخ ، كما في الموت المخروم ، فلن تسلم عند انتهاء الزيت، فستطفأ لا محالة، كما في الموت المحتوم .

فاختيارات الإنسان لظروف حياته وطريقة عيشه ونوعية غذائه ومقداره وما شابه ذلك يلعب الدور الأساسي في تحديد العمر الطبيعي طولاً وقصراً .

وفي إشارة واضحة لنوعي

الموت قال تعالى :
{**إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**}[1] .
وقال أيضاً :
{**ثم قضى أجلاً وأجلٌ مسمى عنده**}[2] .
وقال أيضاً :
{**هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ، ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون**}[3] .

البداء

• المتفكر: تغير الموت من مخروم إلى محتوم يذكرني بفكرة البداء ، فهلاَ أوضحت لي ما هو البداء ؟ وهل يجب الإيمان به ؟

▪ **الحكيم** : البداء عقيدة حقة لا بد منها . وقد حاول بعضهم تفسيره بغير معناه الحقيقي المأخوذ عن أهل بيت العصمة والطهارة ما أدى إلى الشك في حقانيته .

فليس معنى البداء ظهور ما كان خافياً على الله تعالى عن ذلك علواً

1ـ سورة يونس ، آية 49 .
2ـ سورة الأنعام ، آية 2 .
3ـ سورة غافر ، آية 67 .

كبيراً كما فسره به جماعة ونسبوه إلى الإمامية وهم منه براء، وإنما هو تغيير في الحكم التكويني لتغيِّر موضوع ذلك الحكم .

والبداء في التكوينات كالنسخ في التشريعيات ، وكل المسلمين يقولون بوقوع النسخ في القرآن ، وفي كثير من الأحكام الشرعية .

فهل يتوهّم أحد أن الله تعالى كان جاهلاً بما هو صواب من التشريع، فشرَّع خلافه، حتى إذا ظهر له عدم صوابيته نسخه، وجاء بالصواب ؟

لا، وإنما هو حكم صادر عن الله تعالى عن علم وإرادة، لكنه محدد لمدة زمنية معينة مرهونة بموضوع معين، فإذا انتهت مدته وتغير موضوعه نسخ، وجيء بحكم آخر مكانه يناسب الزمن الآتي والموضوع الجديد كما هو الحال بالنسبة لتشريع حرمة الخمر وحبس الزانيات المحصنات وغير ذلك . وهكذا هو الحال في البداء حذو القذة بالقذة .

فقد يكتب الله تعالى لأمة أن سيطول ملكها ومجدها ألف سنة، ثم يبدو له في ذلك ، فيذلها بعد مرور خمسمائة سنة فقط ، لماذا ؟ لأن مجدها الذي أعطاها الله إياه مشروط باستمرارها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً، فإذا تركت الأمة هذا العمل خسرت مجدها المقرر لها ،

ومُحي ذلك المجد، وأثبت الذل .
فتبدُّل الموضوع اقتضى تبدُّل الموضوع اقتضى تبدُّل الحكم .

ومن الآيات الدالة بوضوح على البداء قوله تعالى:

{**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**}[1] .

وقوله تعالى :

{**فلولا أنه كان من المسبِّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**}[2] .

أي كان مكتوباً على النبي يونس أن يلبث في بطن الحوت إلى يوم القيامة ، لكنه لما أكثر من الذكر وتسبيح الله وعبادته غيّر الله عز وجل الحكم وأخرجه قبل ذلك .

وكل فرق المسلمين تؤمن بأن الله تعالى أمر نبيه يونس عليه السلام أن يخبر قومه بوقوع العذاب عليهم ، وقد بدت علامات ذلك على وجوههم ، فخرج من بينهم حذراً من ذلك، ولكنهم خافوا ، وتابوا من ذنوبهم، وأنابوا إلى الله عز وجل ، فرفع عنهم العذاب، بينما لا يزال نبيهم يعتقد أنهم ماتوا وهلكوا بالعذاب .

قال تعالى : {**فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قومَ يونس لمَا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي**

1ـ سورة الرعد ، آية 11 .

2ـ سورة الصافات ، آية 143 و144 .

في الحياة الدنيا ومتّعناهم إلى حين} [1] .

وكل المسلمين يؤمنون بأن الله تعالى واعد موسى عليه السلام ثلاثين ليلة، ثم بدا له في ذلك فجعلها أربعين .

قال تعالى : {**وواعدنا موسى أربعين ليلة أتممناها بعشر**} [2] .

كل ذلك نطق به القرآن ولا محيص عنه، كما أنه لا يستلزم نسبة الجهل ولا العجز ولا الظلم ولا الكذب إلى الله تعالى .

هذا معنى البداء، والإيمان به واجب لما ذكرنا، وأما ما سوى ذلك فنحن براء منه ، والله على ما نقول وكيل .

1ــ سورة يونس ، آية 98 .

2ــ سورة الأعراف ، آية 142 .

المجلس الرابع

في بيان ألطاف النبوة

أدلة لزوم النبوة

• **المتفكر : حبذا لو تخبرني ما هي النبوة ، وما دورها ؟**

▪ **الحكيم :** خلق الله تعالى الخلق وهو غني عن طاعتهم ، إلا أنه أراد لهم الخير والصلاح والتكامل في سُلَّم الوجود لينالوا بذلك رضاه والنعيم الخالد . وبما أن لبني البشر شهوات مختلفة تحول بينهم وبين أتباع الحق، وقد تتحكم بهم فتخرجهم عن جادة الصواب، وتدخلهم في متاهات الضلال دون أن يدركوا حق الله عليهم ، ولا حقوقهم على بعضهم البعض مما يؤدي إلى الانحراف والتعسف، فيضيع بذلك الهدف الذي خلقوا لأجله، كان لا بد لله اللطيف بعباده أن ينصب لهم منارات يهتدون بها كلما جدّ بهم المسير نحو الغاية، وما تلك المنارات إلا الأنبياء الذين يهدون إلى الحق والكمال، ولا يُضلون عن طريق هدى، ويبيِّنون للناس الطريق القويم، ويرشدونهم إلى سواء السبيل، فيحددون لهم الحدود،

ويعلمونهم أحكام الله، ويحملونهم على أداء حق الله وحقوق بعضهم على بعض، كي لا يبغي أحد على أحد، ويعيش الجميع في سعادة ووئام . ثم يبلغون في النهاية الكمال والسعادة الأبدية .

كل هذه الأمور تجمعها كلمة شريعة . والشريعة لا يمكن للبشر أن يدركوا تفاصيلها بعقولهم، لهذا لم يستغلوا عن جهة تسددهم خوفاً من اتباع الهوى والشهوات، وحذراً من ترك عبادة الله إلى عبادة الشمس والقمر والنار والحجارة، واحتاجوا إلى من يبيِّن لهم قوانين الخالق كي لا يسنّوا لأنفسهم قوانين التعدي والظلم، فتفتك بهم الحروب، وتشملهم الفتن، ويعمهم الضياع، ويسيطر عليهم الجهل .

وانطلاقاً من كل هذا، وعملاً بما تقتضيه الرحمة الإلهية والعناية الربانية كان لا بد لله تعالى أن يرسل الرسل ليبينوا للناس كل ما يهمهم، وليكونوا الهداة إلى الله، وحججاً له على الناس، كي لا تقول أمة يوم القيامة: ما جاءنا من نذير .

إذن النبوة هي المعرفة المرسلة من الله إلى عباده، فهي الخيط الممتد بين الخالق والمخلوق وهي مصباح الهدى الذي ينير طريق الحياة المظلم. فيطرد جيوش الكفر والضلال .

• المتفكر : هذا لا يعني ضرورة ارسال الأنبياء فما هو وجه الضرورة لإرسالهم ؟

▪ **الحكيم** : يتضح لنا الوجه في ضرورة إرسال الرسل والأنبياء عندما نعلم أن وسائل المعرفة عند البشر منحصرة في الحس والعقل، فالحس يدرك ما يقع تحته من جزئيات ، والعقل يدرك الأمور الكلية التي ينتزعها من مصاديقها وجزئياتها عندما يلاحظ الجامع المشترك بينها. وهاتان الوسيلتان لا تكفيان لمعرفة كثير من الأمور التي لها دخل في بلوغ الكمال . فمعرفة المصالح والمفاسد الكامنة في بعض الأعمال التي قد يقوم بها الإنسان بداعٍ من أهوائه وحاجاته وغرائزه أمر غير متيسر له فلا يمكن للعقل أن يدركها ، ولا هي، في غالبها ، واقعة تحت الحس ليتمكن الإنسان من استكشافها بواسطة حواسه، وخصوصاً تلك الأمور التي لها علاقة بالعالم الغيبي وبالموت وما بعد الموت، وبالتشريع الكامل الذي لا ثغرة فيه. من هنا كان لا بد من وسيلة ثالثة للمعرفة تربط الإنسان بالخالق العالِم بغيب الأشياء وبمصالح الأمور ومفاسدها على التفصيل ليتمكن الإنسان من خلال إرشادات خالقه أن يتجنب المفسدة

ويحصِّل المصلحة دون أن تتضارب مصالح البشر وحقوقهم ودون أن يؤدي ذلك إلى ضرر أحد .

تلك الوسيلة الثالثة للمعرفة هي الوحي، وهو عبارة عن الارتباط بين الخالق والمخلوق ليمكن وصول المعلومات الضرورية للبشر . فربما تصل هذه المعلومات إلى أحد أفراد الإنسان عبر الرؤية في النوم وربما تحصل عبر اليقظة إما من خلال سماع كلمات الله من ملك أو من خلال أحد المخلوقات كالنار أو الشجر ونحو ذلك. ذلك الإنسان الذي يحصل له هذا الاتصال بالله هو النبي .

النبي الظاهري والنبي الباطني

• **المتفكر : ما المقصود بالنبي الظاهري والنبي الباطني إذن ؟**

▪ **الحكيم** : أنعم الله عز وجل علينا بطريقتين لهدايتنا حباً بنا وخوفاً علينا من أنفسنا؛ الأولى: وهي طريقة عامة لكل البشر دون استثناء، لا ترتبط بزمان ولا مكان، ولا تقتصر على أمة معينة أو شعب معين. وتتمثل هذه الطريقة بالعقل الذي وهبه الله لكل بشري مكلّف لأجل أن يهدي صاحبه إلى معرفة خالقه، وما تستتبعه هذه المعرفة من معرفة أصول

الدين، وذلك عبر التأمل بمخلوقات الله واعتماداً على المعلومات الأولية المرتكزة فيه، كقاعدة العلية، واستحالة اجتماع أو ارتفاع النقيضين وغير ذلك. إلا أن هذا العقل محدود الطاقة، فلا يمكنه إدراك التفاصيل الهامة المتمثلة بفروع الدين، وهي ضرورية جداً لبلوغ الكمال المنشود .

من هنا كان لا بد من الطريقة الثانية المكمّلة للأولى .

والطريقة الثانية: وهي بعث الأنبياء، ويتمثل دورهم بأمرين:

الأول: تبيين ما لا يدركه العقل من أحكام وحدود وإظهار التكاليف الجزئية .

قال تعالى: {**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه**}[1] .

والثاني: تذكيرهم بما عرفته عقولهم وتوصلت إليه من تلقاء نفسها من أمور العقيدة وأصول الدين ، ثم نسوه عندما أهملوه واتبعوا أهواءهم وغرائزهم لهذا سمي النبي في القرآن بالمذكر وسمي عمله بالتذكرة . قال تعالى : {**فذمر إنما أنت مذكر**}[2] .

1ـ سورة البقرة ، آية 213 .

2ـ سورة الغاشية ، آية 21 .

وقال أيضاً: {**إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً**}[1].

ولا بد أن نعرف أيضاً أنه لا يمكن للنبي (ص) أن يفلح في حمل الناس على الهداية ما لم تشاعده عقولهم على ذلك، من هنا كان أحد النبيَّين مكملاً للآخر، لا يستغني أحدهما عن الآخر.

• **المتفكر: من هم الأنبياء الذين ثبت أن الله تعالى أرسلهم لهداية الناس، وبالتالي يجب الإيمان بهم؟**

▪ **الحكيم**: تضافرت كلمات علماء الإسلام على أن الله عز وجل بعث عدداً كبيراً من الأنبياء بلغوا في بعض الروايات مائة وأربعة وعشرين ألف نبي، أولهم آدم عليه السلام، وآخرهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.

قال تعالى: {**ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**}[2].

ذكر تعالى اسم خمسة وعشرين نبياً في الكتاب، هم:

محمد بن عبد الله (ص)، آدم، نوح، إبراهيم الخليل، إسماعيل، إسحق، لوط، يعقوب، يوسف، شعيب، هود، صالح، داود، سليمان، إليسع، ذو الكفل، يونس، إلياس، موسى، هارون،

1ـ سورة الإنسان، آية 22.

2ـ سورة غافر، آية 78.

يحيى، زكريا، عيسى، أيوب، العُزير عليهم السلام أجمعين .

الفرق بين النبي والرسول

• **المتفكر : هل هناك فرق بين نبي ونبي ؟**

▪ **الحكيم** : النبي والرسول وفرق بين أولي العزم من الرسل وغيرهم . فالنبي هو من أُنبأ، أي أُخبر بأوامر الله تعالى ونواهيه كما أسلفنا، إما بالرؤيا والمنام أو عبر الوحي . ثم هذا النبي تارة يكون مأموراً بتبليغ ما أُنبأ به للناس، وتارة لا يؤمر بذلك ، فإن أُمر فهو رسول وإلا فهو مجرد نبي . فكل رسول نبي ولا عكس .

ثم إن الرسل منهم من طُلب منه أن يبلّغ رسالة كان غيره من الأنبياء قد جاء بها، ومنهم من بُعث برسالة خاصة به إلى الناس . فأصحاب الرسالات السماوية العامة هم أولو العزم، وقد أرسلوا إلى العالم كله، وهم خمسة فقط: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، ومحمد بن عبد الله صلى الله عليهم أجمعين .

وكلمة "أولو العزم" نشأت مما كانوا يتمتعون به من عزيمة صلبة خوّلتهم حمل الرسالة إلى العالم أجمع والصبر عليها وتحمل

أنواع المشقات والمصاعب لأجل نشرها وتعميمها على الخلائق .

قال تعالى : {**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل**}[1] .

وأما في موضوع الإيمان بهم فهم عندا سواء، يجب الإيمان بهم دون التفريق بينهم . قال تعالى :

{**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**}[2] .

طرق إثبات النبوة

• **المتفكر : كيف تثبت نبوة النبي ؟**

▪ **الحكيم** : يأبى الإنسان بفطرته قبول أي دعوى بدون دليل يثبتها . وللشيخ الرئيس ابن سينا كلمة مشهورة في هذا الصدد، وهي :

كم قَبِل دعوى المدّعي بلا بينة وبرهان فقد خرج عن الفطرة الإنسانية .

والأدلة التي يمكن أن تُثبت لنا نبوة النبي ثلاثة ، وهي :

1ـ سورة الأحقاف ، آية 35 .

2ـ سورة البقرة ، آية 285 .

1- الإعجاز ، وذلك بأن يأتي النبي بعمل خارق للطبيعة .
2- إخبار النبي السابق بنبوة النبي اللاحق .
3- القرائن والشواهد العامة المستقاة من حياة المدّعي وأحواله وأصحابه وسلوكه بحيث يمكن القطع من خلال المجموع بصدق دعواه.
ويكفي للتأكُّد من صدق مدعي النبوة أن يكتمل لدينا أحد هذه الطرق الثلاث، وكلما تعددت الطرق كلما ترسخت نبوته، وتأكد صدقه.

1- المعجزة

• المتفكر : فلنتناول هذه الأمور واحداً واحداً ، وخصوصاً المعجزة وإخبارات الرسل السابقين . أخبرني ما هي المعجزة التي تثبت صدق مدعي النبوة ؟

▪ **الحكيم :** المعجزة هي العمل الخارق للعادة الخارج عن الحد المألوف لقدرات البشر، بحيث لا يستطيع أحدهم أن يأتي بمثلها، وذلك مثل إحياء الموتى، والإخبار بالمغيبات، والتحكم بالقوانين السارية في الكائنات كأن تكلّمه الشجرة، ولا تحرقه النار، وأن يجعل

العصا ثعباناً يسعى، أو يُخرج من الجبل ناقة تأكل وتشرب وتلد وما شابه ذلك .

وليس معنى المعجزة تعطيل قانون العلية السائد في الكون، وإنما معناها أن للمعلولات أكثر من سبب، يعرف الناس سبباً واحداً ويعرف النبي عليه السلام بواسطة اتصاله بالوحي وارتباطه بالعالم العلوي أسباباً أخرى، لا يمكن أن يطلع عليها إلا من كان له هذا الاتصال بخالق الكائنات وعارف سرّها .

مثلاً ، يعلم الناس أن نقل عرش بلقيس من اليمن إلى الشام يكون بطريقة واحدة، وهي حمله والسير به أياماً وليال حتى يصلوا به إلى بلاد الشام، ويعرف من عنده اتصال بالعالم العلوي أن هناك طريقة أخرى يتمكن بواسطتها من نقله بطرفة عين .

وربما يكون للعلة موانع من التأثير في الأشياء، يعرف الناس بعضها، ويعرف النبي البعض الآخر . فيعرف الناس مثلاً لرفع تأثير النار بالإحراق استعمال الماء والتراب، بينما يدرك النبي إبراهيم طريقة أخرى تخفى على الناس، لا يطلع عليها إلا من خلال خالق النار ومكونها ، فيتمكن من الجلوس وسطها دون أن تؤثر فيه . وعلى هذا المنوال

تنشأ سائر المعاجز .

القرآن معجزة النبي(ص)

• المتفكر : اسمح لي هنا أن اسألك ما هي معجزة النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ؟

▪ **الحكيم** : جاء رسول الله(ص) بمعاجز كثيرة جداً تُعد بالآلاف، أُلّفت فيها الكتب والمجلدات . قال ابن شهراشوب في المناقب :

وكان له(ص) معجزات لم تكن لغيره وذُكر له أربعة آلاف وأربعمائة وأربعون معجزة، ذُكرت منها ثلاثة آلاف تتنوع أربعة أنواع: ما كان قبله، وبعد ميلاده، وبعد بعثه، وبعد وفاته، وأقواها وأبقاها القرآن[1] .

من أبرز هذه المعاجز الإخبار بالمغيبات والتحكم بالكائنات والدعاء المستجاب وشق القمر والإسراء والمعراج والقرآن الكريم .

والقرآن كتاب جاء به محمد(ص)، وهو واحد من أهل مكة، كان قبل مبعثه صلى الله عليه وآله أميّاً لا يجيد القراءة ولا الكتابة، ولم يتصل بأنبياء سابقين ولا بأوصيائهم، ومع هذا فقد جاء فيه بقصص الماضين

1ــ المناقب ، ج1 ، ص 144 .

وأنباء المستقبل وبتشريع إلهي كامل، فضلاً عن كونه في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة إلى حد أنه تحدى به فصحاء العرب وبلغاءهم على مر العصور، بل تحدى به الإنس والجن، فلم يقدر أحد منهم على معارضته أو الإتيان بسورة من مثله .

قال عز وجل : {**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون**}[1] .

{**وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين**}[2] .

• **المتفكر : ما الذي يثبت أن القرآن هو كتاب الله، وليس من وضع البشر ؟**

▪ **الحكيم :** هناك مجموعة أمور ثابتة ومسلمة لو تأملها ذو العقل السليم والضمير الحي لقطع بأنه يستحيل على شخص مثل النبي محمد بن عبد الله (ص) أن يأتي بكتاب مثل القرآن من عنده . ومن هذه الأمور:

1- كان محمد (ص) رجلاً أمياً لا يجيد الكتابة ولا القراءة كما أسلفنا، وهذا ما لم يختلف عليه اثنان من

1ـ سورة العنكبوت ، آية 48 .

2ـ سورة البقرة ، آية 23 .

المسلمين ولا غيرهم، وقد شهد به القرآن أيضاً كما تقدم .

ولو كان هذا الأمر موضع شك لكان أول من أنكره مشركو مكة الذين عاصروا النبي قبل دعوى النبوة أربعين سنة، فقد كانوا يجدّون البحث عن أي دليل يمكن أن يواجهوه به ليدحضوا دعواه ، وهذه فرصة لم يكونوا ليضيّعوها .

2- إن مستوى الفصاحة والبلاغة في القرآن أعلى بكثير من المستوى الذي كان سائداً في زمان رسول الله (ص) ، مع أن قومه كانوا أسياد اللغة العربية دون منازع ، فكانوا مضرب المثل بالمنطق الحَسَن والتعبير المختصر الهادف .

ومع ذلك فقد عجزوا جميعاً عن أن يأتوا بسورة تماثل سُوَر القرآن، وهو يتحداهم بأعلى الصوت ليلاً ونهاراً .

3- جاء القرآن الكريم بمعلومات لم يكن في الجزيرة العربية ولا في غيرها من يعلمها، سواء في سرد قصص الماضين بكل تفاصيلها وأرقامها، أو في الإشارة إلى بعض الأسرار الكونية مما أكّده العلم لاحقاً كحركة الأرض، حيث كان السائد آنذاك ثباتها، وككرويتها، وكان المعروف أنها مسطحة، وحركة الشمس والقمر وسائر

الكواكب : {**وكلٌّ في فلك يسبحون**}[1] .

ولم يكن شيء من هذه الأمور معروفاً في تلك الحقبة من الزمن .

وكذلك إشارته إلى تألُّف كل ما في الكون من ذكر وأنثى ، وهو ما عرف لاحقاً "بقانون الزوجية"، وإشارته إلى قانون الجاذبية وإمكانية الخروج من الكرة الأرضية ... وهكذا إلى ما لا يمكن استقصاؤه في حديث كهذا . وإن شئت التفصيل فعليك بمراجعة الكتب المطوّلة .

4- في القرآن إخبارات غيبية لا يمكن للإنسان العادي غير المؤيد من الله تعالى أن يعرفها قبل وقوعها ، بل ذلك خارج عن طاقة البشر العاديين ، منها :

أ- التنبؤ بعجز البشر عن معارضة القرآن، قال تعالى :

{**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً**}[2] .

ب - إخباره بفتح مكة حين كان المسلمون ضعافاً مضطرين لعقد صلح مع مشركي مكة، قال تعالى :

1ـ سورة يس ، آية 40 .

2ـ سورة الإسراء ، آية 88 .

{**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**}[1] .

ج - إخباره بانتصار الروم على الفرس بعد أن غلبوا سنة 614م وسيطرت الإمبراطورية الفارسية التي كانت يومئذ وثنية، وضعفت الدولة الرومانية التي كانت نصرانية، وكان المسلمون يرونها أقرب إليهم من الدولة الفارسية ، لهذا بشّرهم الله بانتصار الروم فقال :

{**غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين**}[2] .

هـ - جاء القرآن بتشريع إلهي كامل متكامل يتعرض لتنظيم جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية مبيِّناً رأي الإسلام في أمور السياسة والاقتصاد والحرب والسلم والاجتماع والأخلاق والحرية .. وهذا الدستور العظيم لا يمكن أن يأتي به فرد أميّ واحد في مدة زمنية لا تتجاوز بمجموعها 23 سنة دون أن نجد فيه نقصاً أو تهافتاً ولا خطأً ولا لغواً ولا حشواً .

وكلنا يعلم أن الدساتير الوضعية ينكبُّ على وضعها عدد كبير من علماء القانون، ويصرفون لأجل ذلك قسطاً

1ـ سورة الفتح ، آية 1 .

2ـ سورة الروم ، آية 2 و3 و4 .

وافراً من أعمارهم، ومع ذلك لا تخلو هذه الأنظمة والقوانين من ضعف ونقص . ولا يزالون يكتشفون خطأ هنا ونقصاً هناك حتى يعدِّلوها مراراً، بينما لم يحتج القرآن إلى تعديل واحد، فهل هذا من وضع البشر ؟

قال عز وجل : {**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**}[1] .

من كل ما تقدم نقطع بأن هذا الكتاب خارج عن نطاق طاقة البشر فهو معجزة، ومعجزة خالدة تستمر إلى ما شاء ربك .

{**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد**}[2] .

الفرق بين المعجزة والسحر

• **المتفكر : بماذا تتميز المعجزة عن السحر والشعوذة ؟**

▪ **الحكيم :** هناك فرق كبير بين السحر والمعجزة يدركه كل عاقل بصير، إذ المعجزة عمل حقيقي واقعي خارج عن حدود البشر وطاقاتهم وواقع على وجه التحدي، والسحر هو تأثير

1ـ سورة النساء ، آية 82 .

2ـ سورة فصلت ، آية 42 .

على أعين الناس يجعلها ترى الحبل أفعى، فالساحر لا يغيِّر الحبل إلى أفعى ، وإنما يجعلك ترى الحبل أفعى، وهذا فرق جوهري بينهما ، وإليك تفصيل جهات الافتراق بينهما :

أ- إن ما تنتجه الرياضة الروحية والسحر والشعوذة من آثار خارقة للعادة خاضع لمناهج تعليمية معينة لها أساتذتها وتلامذتها، وتحتاج إلى المران والممارسة، والمواظبة في المجاهدة . ويمكن لكل من تعلمها وتمرن عليها أن يصل إلى القدرة على القيام بها، وهذا بخلاف المعجزة، فإن الأنبياء لم يدرسوا طريقة خلقها وإبداعها عند أحد، ولا فعلها قبلهم أحد ليتعلموها منه أو ليتعودوا عليها، وإنما ابتكار وإبداع ابن ساعته، ما شاهده أحد، ولا قدر على مثله أحد من قبلهم ولا من بعدهم .

فالمعجزة غير قابلة للتعلم والتعليم ، والسحر لا يكون إلا بهما .

ب – إن عمل المرتاضين والسحرة يكثر وقوعه، ويسهل الإتيان به عند أهل الصنعة، فيقع فيه الاشتراك، فلا مانع من أن يتعدد فاعلوه في أماكن مختلفة، بينما المعجزة لا تكون معجزة إلا إذا كانت وحيدة فاردة لا يستطيعها أحد، ولا يشارك النبي فيها مخلوق إطلاقاً، ولذا تكون على

وجه التحدي والتعجيز لكل البشر ومنهم السحرة والمرتاضون، من هنا عجز كل السحرة عن مواجهة موسى عليه السلام مع أنهم أرباب الصنعة ورؤساؤها، وقد أدركوا قبل غيرهم أن عمله معجزٌ وليس سحراً .

قال تعالى : {**قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس وسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم * وأوحينا إلى موسى أن ألقِ عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون * فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون * فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين * وأُلقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين**}[1] .

ج- إن الأعمال السحرية والشعوذات وأصناف الرياضات تدور في فلك محدّد لا تتعداه ، ولا يتمكن أصحابها من تلبية كل طلبات الناس ورغباتهم إلا إذا كانت ضمن نطاق ما تعلموه وتمرنوا عليه، ولهذا هم يحضّرون الأشياء مسبقاً، ويقومون بعرضها على الجمهور، فلو ابتكر أحد الحاضرين طلباً لم يعدوا له عدته لكانوا كغيرهم من الناس عاجزين تماماً .

أما المعجزة فإنها غالباً ما تكون بطلب من الناس، فمثلاً قوم إبراهيم هم الذين اقترحوا إحراقه بالنار، وقوم صالح عليه السلام هم الذين

1ـ سورة الأعراف ، آية 116 إلى 121 .

طلبوا منه الناقة ، وحدّدوا أوصافها ومكان خروجها ومدة حملها . وقوم موسى هم الذين سألوه أن يفجر لهم من الحجر عيون الماء. وقد جاء قوم عيسى عليه السلام بمرضاهم ليشفيهم وبموتاهم ليحييهم ، ولم يأتِ بهم هو، وهكذا .. ولا يمنع ذلك أن يزيدهم النبي من عنده بمعجزة أو أكثر إذ رأى في ذلك مصلحة .

وكذلك لا يعني هذا ضرورة تلبية النبي لكل طلباتهم حتى لو كانت على وجه اللعب والاستهزاء أو العناد والمكابرة .

تحريف القرآن ومصحف فاطمة

• **المتفكر : هل في المسلمين من يعتقد أن القرآن حُرّف وغُيّر ؟ وما هو مصحف فاطمة ؟**

▪ **الحكيم :** لقد أطبقت كلمة المسلمين على أن ما بين دفّتي الكتاب المتداول حالياً هو القرآن الذي جاء به محمد بن عبد الله (ص) دون زيادة أو نقيصة ودون تغيير ولا تحريف. هذه عقيدتنا في القرآن وما جاء عن بعض السلف مما يخالف ذلك مأوَّل ومردود .

وأما مصحف فاطمة فهو في مضمونه عين هذا المصحف، إلا أنها سلام الله

عليها لما كانت تكتب في هوامش نسختها بعض الشروح والتفسير وأسباب النزول والإشارات إلى الناسخ والمنسوخ ونحو ذلك فقد كبر حجم مصحفها ، وصار أكبر من المصحف المعروف، فتوهّم البعض أن في المسلمين من يدّعي وجود مصحف مغاير لهذا المصحف. وكيف يدّعي ذلك مؤمن والله تعالى يقول : { **إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**}[1] .

• **المتفكر : يقول البعض : إن محمداً لم يكن نبياً ، وإنما هو مصلح اجتماعي وقائد فذ وشخص ذكي قاد قومه إلى الخلاص من جهلهم وضلالهم ، فهل هذا صحيح ؟**

▪ **الحكيم** : مما لا بد أن يُعلم في هذا المضمار هو أن الأنبياء كلهم معصومون عن الخطأ ، منزهون عن الرذيلة والمعاصي، وذلك لأنه من غير الممكن أن يكون الهادي للأمة ضالاً ، ويستحيل أن يكون مرشدها آثماً ، وهذا أمر يحكم به العقل. وقد كان رسول الله (ص) معصوماً كغيره من الأنبياء حيث لم يُسجّل عليه معصية واحدة ، بل كان مثالاً يُحتذى في كل جوانب الحياة ، وعنه كانت تصدر كل تجليات الأخلاق والفضائل .

1ـ سورة الحجر ، الآية 9 .

وأما المصلح الاجتماعي أو القائد الفذ فهو وإن كان على مستوى عالٍ من المميزات الشخصية والصفات الخلقية إلا أنه لا يكون مسدداً بحيث يحكم في الأشياء وكأنه يقرأ في كتاب الغيب، ودون أن يصدر عنه خطأ خُلُقي واحد طيلة عمره الشريف، ولا يخالف التعاليم التي جاء بها ولو مرة واحدة .

ونحن نرى في زماننا هذا الكثيرين من القادة يتراجعون عن بعض مبادئهم لأجل نيل رضا شعوبهم ، كما فعل غاندي حين ساير قومه في عبادة البقر، فكان يتبرك بروثها على خلاف قناعته فيها .

وكذلك نرى الكثير من أساتذة التربية في أرقى الجامعات ينحرفون حتى أكثر مما ينحرف الناس العاديون .

ولو كان رسول الله (ص) مجرد مصلح اجتماعي لاستفاد من الفرص التي تخدم غرضه والتي أتيحت له كثيراً ، ولكنه لم يداهن، ولم ينتهز الفرص غير المتناسبة مع تعاليم السماء ولو أدى ذلك إلى التضييق عليه ونفيه ومحاربته .

هذا فضلاً عن ثبوت نبوّته بالمعجزات بما لا يقبل الشك .

ولا بد أن يعلم أن هذه الشبهة وأمثالها هي من نسج خيال أعداء

الإسلام، ولا يؤيدها دليل علمي ولا تاريخي سوى الرأي والاستنتاج الخاطئ المعتمد على بعض الروايات العامية الضعيفة ، بل الموضوعة .

عصمة الأنبياء

• المتفكر : ما الدليل على عصمة الأنبياء ، وما هو دليل عصمة النبي محمد (ص) ؟

▪ **الحكيم** : الأنبياء أمناء الله على رسالته ووحيه، وهم الدعاة إلى طاعة الله ورضوانه، وهم المَثَلُ الأعلى للإنسان الصالح الكامل، والقدوة التي يجب أن يقتدي بها سائر الناس، فلو كان هذا الأمين خائناً ولو مرة واحدة لما أمكن الوثوق به في شيء . ولو كان هذا الرجل كاذباً ولو في قول واحد لما أمكن تصديقه في شيء يدّعيه . ولو كان هذا الآمر بالمعروف عاصياً فلن يتمكن من دعوة الناس إلى الطاعة .. وهكذا .

فلا بد أن يكون النبي منزّهاً عن كل عيب معصوماً من كل خطأ، كي يكون إماماً للناس يؤتس به. قال تعالى : {**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**} [1] .

1ـ سورة الأحزاب ، آية 21 .

وقال أيضاً بعد ذكر عدد من الأنبياء :

{**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**}[1] .

وشهد الله تعالى بعصمة النبي (ص) فقال :

{**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى**}[2] .

والوجدان قاضٍ بأن مجرد احتمال صدور الكذب أو الخيانة أو الخطأ عن الرسول يلغي الوثوق بقوله، فلا يبقى مجال لتصديقه في ما يجيء به من أوامر إلهية وتعاليم سماوية .

• **المتفكر : ما هي حدود عصمة الأنبياء ؟**

▪ **الحكيم** : ما يوجبه العقل من العصمة هو أن لا يصدر عن النبي خطأ في تبليغ الدعوة أو نسيان لبعض أجزائها أو ارتكاب ما يخالف الشريعة من فعل حرام أو قولٍ كاذب أو فعل خيانة، أو ترك واجب كالصلاة والصوم ونحو ذلك .

وأما ما سوى هذه الأمور فهو مورد أخذ ورد بين المسلمين .

والشيعة الإمامية ينفون عن النبي والإمام الخطأ والنسيان والسهو في

1ـ سورة الانعام ، آية 90 .

2ـ سورة النجم ، آية 4 .

مقام تبليغ الشريعة وفي مقام تطبيقها وفي غير ذلك أيضاً، لأنه منفّر للناس، ولأنه يفتح لهم المجال واسعاً ليظنوا به الظنون السيئة كأن يحسبوا أنه اتخذ الخطأ والنسيان ذريعة للوصول إلى المعصية، فيشجعهم ذلك على فعل المعصية متذرعين بالخطأ والنسيان.

من هنا يأوّل علماء الشيعة كل ما ظاهره خلاف ذلك.

وجوّز بعض الأشاعرة وقوع المعاصي والذنوب من الأنبياء، بل جوّز بعضهم عليهم الكفر، وليس لهم على هذه الدعاوى دليل صحيح.

فكل ما يتمسكون به ظواهر بعض الآيات التي لا بد من تأويلها بإرجاعها إلى ما هو أظهر منها. ويكفينا في هذا المقام الأخذ بما قدمناه مما يحكم به العقل.

• المتفكر : كيف نفسر ما نطق به القران مما ظاهره وقوع المعصية من بعض الأنبياء عليهم السلام ؟

▪ **الحكيم** : جاء في القرآن آيات ظاهرها وقوع المعصية أو الخطأ من بعض الأنبياء وذلك مثل قوله تعالى: {**وعصى آدم ربه فغوى**}[1]. وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام :

1ـ سورة طه ، آية 121

{**فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي**}[1] . وقال تعالى حكاية عن النبي موسى عليه السلام : {**فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان**}[2]. وحكاية عن ذي النون عليه السلام : {**وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه**}[3] وعن النبي يوسف عليه السلام : {**ولقد همت به وهمّ بها**}[4] . وكذلك عن النبي داود عليه السلام : {**وظن داود أنما فتنّاه**}[5] . وقال مخاطباً رسول الله (ص) : {**وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**}[6] .

وكل هذه الآيات لا تصمد عند النظر الثاقب في إثبات حصول المعصية من الأنبياء ، فبعد وضوح الآيات التي تشهد بعصمتهم مثل قوله تعالى : {**أولئك الذي هدى الله فبهداهم اقتده**}[7] . والآيات التي تتحدث عن كونهم مخلصين لا يتمكن الشيطان من إغوائهم مثل: {**إنا أخلصناهم بخالصة**

1ـ سورة الأنعام ، آية 71 .

2ـ سورة القصص ، آية 15 .

3ـ سورة الأنبياء ، آية 87 .

4ـ سورة يوسف ، آية 24 .

5ـ سورة ص ، آية 24 .

6ـ سورة الأحزاب ، آية 37 .

7ـ سورة الأنعام ، آية 90 .

ذكرى الدار}[1]، و{**كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين**}[2] . و{**قال فبعزتك لأغويتهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين**}[3] . وغير ذلك كثير .

وعليه فهي إما واردة مورد "إياك أعني واسمعي يا جارة لأجل تنبيه الناس وتعليمهم أو أنها تتحدث عن مخالفة بعض الأوامر الإرشادية التي لا تُخِل بالعصمة أو أنها خلاف الأولى .

وكيف كان فإن كل هذه الآيات مأولةٌ وغير محمولة على ظاهرها، لأن الدليل العقلي القاضي بعصمتهم مقدّم على الأدلة النقلية ومفسِّر لها . تماماً كما فعلنا في الآيات التي ظاهرها جسمية الله عز وجل .

وقد كتب علماء الإسلام في هذا الصدد كتباً تعرضت لبيان هذه الآيات مفصلاً يمكن لك إن إردت المزيد الرجوع إليها، ومنها كتاب تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى (قده) ، وكتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازي .

• المتفكر : ما دامت العصمة من الله فهل من العدل عصمة بعض الناس وترك بعضهم الآخر يتيهون في أودية الكفر

1ـ سورة ص ، آية 46 .

2ـ سورة يوسف ، آية 24 .

3ـ سورة ص ، آية 82 و83 .

والضلال؟

▪ الحكيم : مهما يكن اختيار الله عز وجل فإن هذا السؤال سيبقى مطروحاً ، إذ لا بد في الأخير من تحديد شخص للنبوة دون الآخرين ، وعليه يعود السؤال جذعاً .

والجواب الحلي هو أن يقال :

النبوة ليست أمراً يوزع على الناس توزيعاً، وإنما هي فيض إلهي يتلقاه من كان أهلاً لذلك، بأن كان يمتلك النفسية الصالحة والروحية العالية والإمكانية العقلية والبدنية التي تمكنه من النهوض بهذه المسؤولية .

وتأتي هذه الإمكانيات من مصدرين أساسيين: الوراثة والاكتساب. فما يرثه الابن عن آبائه بحسب ناموس الطبيعة القاضي بوراثة الأبناء، خصائص الأباء يشكل عنصراً مهماً في تكوّن شخصيته . وما يكتسبه من التربية التي يتلقاها على أيدي ذويه والمحيطين به، وما يكتسبه من مجاهداته الخاصة وتأملاته الروحية واستخدام عقله ومهارته الفكرية يكمِّل بناء الشخصية القابلة لتلقي فيض النبوة . فإذا وصل الإنسان إلى هذه الدرجة من الصلاحية صار من الممكن أن ينعم الله تعالى عليه بأن يتخذه نبياً وينزل عليه الوحي .

فلا يختار الله نبياً إلا بعد أن يبلغ درجة من الكمال تؤهله حمل

الرسالة والمحافظة على العصمة، وترك الهوى والشهوات. فمثلاً من لا يتمكن من الصبر على الجوع والعطش كيف يصبر على تحمل الأذية والقتل في سبيل الله، ومن لا يستطيع أن يلجم نفسه عن نيل مرادها لا يمكن أن يكون قدوة في النزاهة والمانة.

وكل واحد من أفراد البشر أدرى بمقدرته ومؤهلاته والله أدرى منه بنفسه، وبما يستحقه من مراتب الكمال. ولا يظنن أحد أن الله عز وجل يعطي النبوة للخائن فيصبِّره بذلك أميناً، وإنما يعمد إلى الأمين المستحق للنبوة فيجعله نبياً.

وعليه لا يخرج اصطفاء الله تعالى لأنبيائه عن العدل وعن كونه إعطاء كل ذي حق حقه أو وضع الأمور في مواضعها.

قال تعالى: {**الله أعلم حيث يجعل رسالته**}[1].

• المتفكر: هل معنى العصمة أنهم مجبورون على الطاعة؟

▪ **الحكيم**: العصمة هي الامتناع الإرادي عن مخالفة الأحكام الإلهية المولوية الإلزامية. فمجرد مخالفة الأحكام الإرشادية أو عدم الإلتزام بالمستحبات والمروهات لا يخل

1ـ سورة الأنعام، آية 124.

بالعصمة . ولما كان الأنبياء علماء بواقع الأشياء وبمضارها وفوائدها كعلم أحدنا بنفسه وبعدد أصابع يده كان من غير الممكن أن يفعلوا المعصية لعلمهم بآثارها على الروح والجسد، وبضررها الكبير في عملية الكمال والاقتراب من المطلق .

فمثلاً هل من المعقول أن يقوم من يمتلك أدنى مرتبة من العقل بشرب كأس فيه سم ناقع لمجرد أن حلو الطعم .

فعصمتهم كانت باختيارهم بعدما أطلعهم الله تعالى على حقائق الأشياء، فرأوا فوائد الطاعة رأي العين، ولمسوا مضار المعصية لمس اليد، بل لا يهمُّ أحدهم بالمعصية ، ولا تخطر لهم على بال كما لا يخطر على بال أحدنا أن يأكل الأوساخ والقازورات حتى لو جاع وعطش .

وبما أننا بيّنا أن اختيار الله تعالى لأنبيائه ناشئ من أهليتهم لذلك فقد اتضح أن القضية من أساسها مرتبطة باختيار الناس أنفسم، فينال كل حسب طاقته ومؤهلاته [1] .

1ـ وليتضح لك الأمر تدبر هذا المثال : هب أن فيض الله تعالى بمثابة البث الإذاعي أو التلفزيوني القوي جداً والمستمر في جميع أرجاء الأرض ليلاً ونهاراً ومنذ الأزل وإلى الأبد دون انقطاع . فمن كان يمتلك جهازاً سليماً

2- تبشير الأنبياء بالنبي محمد

• **المتفكر : هل بشّر الأنبياء السابقون بالنبي محمد (ص) ؟**

▪ **الحكيم** : القاعدة أن آخر نبي ينصّ على مجيء النبي التالي من بعده، وقد نصر أكثر الأنبياء على الأتين من بعدهم ليُعلموا قومهم بالنبي المتأخر، ويطلبوا منهم طاعته واتباع أوامره .

وفي القرآن ما يفيد بأن النبي محمد بن عبد الله (ص) هو استجابة لدعوى جدنا إبراهيم خليل الله عليه السلام حيث قال :

{**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز**

وصالحاً للاستقبال يحصل من الفيض الإلهي على أفضل صوت وأوضح صورة حتى كأنه جالس بين يدي الله وفي محضره . وأما من كان جهازه على درجة لا بأس بها من الصلاحية فلن ينال سوى الصوت مثلاً، وأما إذا كان الجهاز مريضاً ، ولم يعمل على إصلاحه فلن يحصل إلا على صوت مشوش وضعيف ، قد لا يمكّنه من فهم الكلمات والاستفادة مما فيه من المعلومات . وربما لسوء جهازه لا يحصل على شيء أبداً إذن بمقدار جلاء مرايا أنفسنا تنعكس فيها صور الأشياء واضحة وجلية .

الحكيم}[1] .

وكذلك نص القرآن صريحاً على أن النبي عيسى عليه السلام نصّ على نبوة محمد (ص) حيث قال :

{**وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**}[2] .

وأما النص عليه في التوراة فقد جاء في سفر أشعيا :

"وحي من بلاد العرب ، في الوعر من بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددرانيين ، هاتوا ماء لملاقاة العطشان ، يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه ، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا ، من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدود ، ومن أمام شدة الحرب"[3] .

ولم ينزل الوحي في بلاد العرب إلا على محمد بن عبد الله (ص) ، ولم يعرف عن قوم نبي هاجروا خوفاً على أنفسهم إلا عن قومه .

وأما النص عليه من الأناجيل فقد ذكر برنابا في إنجيله اسم النبي

1ــ سورة البقرة ، آية 129 .

2ــ سورة الصف ، ية 6 .

3ــ سفر أشعيا ، الإصحاح 21 ، مقققطع 13 إلى 16 .

محمد صريحاً عدة مرات حتى أنه صرّح بأكثر من ذلك فقال :

"فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصُّها : لا إله إلا الله ومحمد رسول الله، ففتح حينئذ آدم فاه وقال : أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت فخلقتني ولكن أضرع إليك تنبئني ما معنى هذه الكلمات : "محمد رسول الله" ؟

فأجاب الله : مرحباً بك يا عبدي آدم، وإني أقول لك إنك أو إنشان خلقت، وهذا الذي رأيته إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة، وسيكون رسولي الذي لأجله خلقت كل الأشياء، الذي متى جاء سيعطي نوراً للعالم، الذي كانت نفسه موضوعة في بهاء سماوي ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئاً" (1) ؟

وأما ما ورد في الأناجيل الأخرى فهو إشارات لا تقبل التفسير إلا بالنبي محمد (ص) ، وإليك بعضها من إنجيل يوحنا :

1- لكني أقول لكم الحق أنه خيرٌ لكم أن أنطلق لأنه إذا لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي، ولكن إن ذهبت أرسله لكم . ومتى جاء ذاك يبكّت العالم

1ـ إنجيل برنابا ، فصل 39 ، مقطع 14 إلى 22 . ترجمة خليل سعادة .

على خطية، وعلى برٍ ، وعلى دينونة[1] .

2- ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب، روح الحق الذي من عند الأب ينبثق ، فهو يشهد لي ، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء[2] .

3- وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم[3] .

4- إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم مُعزِّياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد[4] .

وليس المراد بالمعزي جبرائيل الروح القدس كما توهمه عبارة الفقرة الثالث، لأن سائر الأوصاف الموجودة في ذات الفقرة وفي الفقرات الأخرى لا تقبل الانطباق عليه، فالروح القدس لا يبكّت أحداً إلا عبر الأنبياء والرسل، وكذلك لا يعلم الناس شيئاً إلا عبرهم، ولا يستمر معهم إلى الأبد، ومن كلمة "معزياً آخر" الواردة في الفقرة الرابعة

1_ إنجيل يوحنا ، إصحاح 16 ، مقطع 7 و8 ، ط، دار الكتاب المقدسي .

2_ المصدر السابق ، إصحاح 15 ، مقطع 16 .

3_ المصدر السابق ، إصحاح 14 ، مقطع 26 .

4_ المصدر السابق ، إصحاح 14 ، مقطع 15 و16 .

نفهم أن المراد نبي آخر بعد عيسى عليه السلام .

فكلمة "المعزي" تشير بوضوح إلى شخص له صفات جليلة سيأتي بعد ذهاب النبي عيسى عليه السلام، ويكون له شأن عظيم، وتستمر رسالته خالدة إلى الأبد ، وفيها قانون الثواب والعقاب وإقامة الحدود ليبطّت الناس على أعمالهم .

• **المتفكر : ما دام النبي عيسى قد بشّر برسول الله فلماذا لم يؤمن به النصارى**

▪ **الحكيم :** حصل في زمن النبي (ص) حادثة مهمة عرفت بقصة المباهلة ، قال عنها تعالى :

{**فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**}[1] .

وملخّص القصة أن رسول الله (ص) بعث إلى نصارى نجران يدعوهم إلى الإسلام، فجاءوا سجادلونه في نبوته وفي رأي الإسلام في عيسى بن مريم عليه السلام، ولما بلغ الجدال مبلغاً لا يمكن معه حسم الموقف لأحد الطرفين أُمر النبي بدعوتهم إلى المباهلة، أي أن يدعو

1ـ سورة آل عمران ، آية 61 .

كلٌ من الطرفين على الكاذب منهما باللعنة والهلاك، فمن كان صادقاً نجا، ومن كان كاذباً وقعت عليه اللعنة، فوافق النصارى على ذلك في بداية الأمر، ولكن حين حانت ساعة المباهلة، ورأوا إصرار النبي (ص) على المضي قدماً بكل طمأنينة أدركوا أنه النبي الموعود، وخافوا من مباهلته ، فنكصوا، وقبلوا بدفع الجزية كحل وسط يحفظ لهم مقاماتهم في نظر أتباعهم ومريديهم، ويؤمنهم من دعاء هذا النبي الصادق وسيفه.

وقد أسلم غيرهم من النصارى ممن لا تهمهم المناصب ، ولا تحكمهم العزة في الموقف، وعلى رأس هؤلاء سلمان الفارسي الذي كان على علم بتعاليم عيسى عليه السلام ووصاياه ، وبعلامات النبي الذي سيظهر في الجزيرة العربية ، وقد أعترف بها أيضاً ملك الحبشة آنذاك، وكان نصرانياً ، وغير هذين كثيرون .

• المتفكر : يثير بعض المستشرقين مسألة كثرة زوجات النبي (ص) بالنقد والتجريح ، فهل ينافي ذلك مقام النبوة ؟

▪ **الحكيم** : ما دام ما يفعله النبي مسموحاً به شرعاً وعرفاً، ولا غضاضة فيه بنظر هذين فلا ينافي مقام النبوة .وقد ورد عن رسول الله (ص) أنه

قال: "حُبِّب إليّ من الدنيا ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة [1].

وجاء عنه (ص): «من أخلاق الأنبياء حب النساء» [2].

وقد أيّدت هذه الفكرة كتب التاريخ فضلاً عن القرآن والكتب المقدسة، فقد تزوج إبراهيم عليه السلام بأربع زوجات [3] وكذلك يعقوب عليه السلام، وأما النبي داود والنبي سليمان عليهما السلام فقد أكثرا من النساء كثيراً [4]، ولم يخرجهما ذلك عن مقام النبوة في نظر أحد.

ونحن إذا لاحظنا أن مبدأ تعدد الزوجات كان أمراً متعارفاً جداً ومعمولاً به بكثرة في ذلك العصر حيث قلّ وجود المكتفي بواحدة، بل ربما وصل عدد زوجات البعض في الجاهلية

1ـ بحار الأنوار، ج76، باب 19، ج8، ص 141.

2ـ مكارم الأخلاق، ص 197.

3ـ راجع تاريخ الطبري، ج1، ص 219. وقصص الأنبياء، أبن كثير، ص 177.

4ـ ورد أن داود عليه السلام تزوج بحدود مائة امرأة، وأن سليمان عليه السلام تزوج بحدود ألف امرأة، راجع في ذلك كتب قصص الأنبياء، للجزائري والتجار فضلاً عن العهد القديم من "الكتاب المقدس".

إلى ما يربو عن العشرين، إذا لاحظنا ذلك ندرك أن الإكثار من النساء لم يكن فيه أي غضاضة عرفية على الإطلاق. فأي مانع يمنع من أن يكون هذا النبي واحداً من أفراد مجتمعه يفعل كما يفعلون، ويعيش حسب طريقة العيش المتعارفة، ما دام لا يوجد مانع من ذلك، فما بالك إذا وجدت فيه عدة مصالح هامة؟

ونوضح ذلك بالقول أن النبي(ص) لم يكثر من الزوجات إلا لمصالح سياسية واجتماعية أدت إلى تقوية مركزه الديني كنبي وتثبيت دعوته وانتشار رسالته، ولهذا كانت نساؤه ، ما خلا واحدة ، أرامل ومطلقات، وكنّ كبيرات في السن وذوات أولاد .

ويذعن لذلك كل من راجع التاريخ واطلع على ظروف هذه الزيجات المتعددة .

النبي محمد(ص) ومنطق القوة

• المتفكر : لماذا كان النبي(ص) خاتم الرسل والنبيين ؟

▪ الحكيم : قال تعالى : {**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**}[1] .

1ـ سورة الأحزاب ، آية 40 .

ذكرت لك في ما سبق الدليل العقلي على لزوم بعث الأنبياء، وأن الهدف من ذلك هداية الناس إلى الكمال، ولما كان الأنبياء السابقون يُقتلون أو يموتون دون أن يصلوا إلى الهدف الذي أرسلوا من أجله، وكان أتباعهم يقومون في ما بعد بتحريف تعاليمهم وكتبهم كان الداعي إلى إرسال الرسل لا يزال قائماً ، إلا أنه لا بد في نهاية المطاف من استكمال حلقات هذه السلسلة ، ولا بد أن يكون هناك حد تقف عنده . فإما أن تقف عند هذا النبي أو تقف عند ذاك .

وبما أن القرآن هو المعجزة الخالدة التي لا تقبل التحريف، وبما أن الإسلام الذي بيّنه محمد (ص) للناس كدين كامل تناول جميع جوانب الحياة فقد بلغ بذلك الهدف الذي تكتمل به سلسلة الأنبياء، وتختم مسيرتهم به .

ونحن إذا آمنا بأن محمداً نبي فلا مناص من أن نصدق بما جاء به . ومما جاء به أنه لا نبي بعده، بينما كان الأنبياء السابقون يبشِّرون بمن يأتي من بعدهم، ولو كان بعده نبي للزم أن يخبرنا به، ولم يفعل، بل صرّح بعدم وجود نبي آخر .

أما العلة في كونه هو بالخصوص خاتم الأنبياء فهذا أمر إلهي لا يمكن لنا أن نحدده أو أن نفرض على الله تعالى ما يجب أن يفعله .

نعم يمكن لنا أن نتلمّس بعض الأوجه التي لا بد أن لها دخل في هذا الأمر ومنها :

1- أن رسول الله (ص) نجح في نشر الإسلام نجاحاً لم يتيسر لأحد من قبله من الأنبياء، فوضع ركائز الدولة الإسلامية، ودان لها الناس .

2- أنه (ص) بلّغ الناس كل الأحكام الأساسية التي لا بد منها مما يجعل من هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس .

3- أنه ترك لهم القرآن الكريم، وهو كتاب خالد فيه كل ما يحتاجون إليه من تعاليم ، ومعجزة لا تقبل التحريف، ويغنيهم عن الأنبياء والرسل .

4- وجود الأئمة من بعده يكملون ما بدأه (ص) ، ويوضّحون ما أنبَهَم من تعاليمه ، ويحمون شريعته مدة مديدة من الزمن .

5- كان رسول الله أفضل وأقوى وأنجح شخصية نبوية أرسلت إلى الناس، لذا كان له هذا الإكرام من الله تعالى بأن جُعل خاتم النبيين لتبقى رسالته وشريعته مستمرة إلى يوم القيامة . وليبقى ذكره خالداً لا يمحى .

قال (ص) : «**أيها الناس إنه لا نبي بعدي، ولا سنة بعد سنتي فمن ادعى ذلك فدعواه وبدعته في النار فاقتلوه، ومن اتبعه فإنه في**

النار»[1] .

• **المتفكر : لماذا حُرمت الأمم اللاحقة من نعمة النبوة، أليس في ذلك ظلم لها ؟**

▪ **الحكيم :** لا يرسل الله تعالى الأنبياء مراعاة لمشاعر أحد من الناس، وإنما يرسلهم لأجل إقامة دين الله في الأرض ، فإذا وجد ما يدعو إلى ذلك بعث بما يفي بالحاجة من النبياء، وقد كان الناس في الأمم السابقة غارقين في الجهل وقلة الوعي وانعدام النضوج الفكري، فكانوا يعمدون إلى قتل أنبيائهم وتحريف شرائعهم مما يقتضي إرسال رسول جديد .

ولما جاء رسول الله محمد (ص) ، وقام بدوره على أكمل وجه، ونشر كل تعاليم الدين الإلهي دفع الأمة نحو درجة هامة من التكامل والنضوج حتى قال عنها تعالى :

{**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**}[2] .

ولما كان القرآن كتاباً سماوياً خالداً ومحفوظاً عن أن تناله أيدي

1ــ من لا يحضره الفقيه ، ج4 ، باب 2 ، ح 53370 ، ص 163 .

2ــ سورة آل عمران ، آية 110 .

المحرفين لم يعد من حاجة إلى بعث أنبياء آخرين، وليس هذا انتقاصاً من الأمم اللاحقة وتكريماً للأمم السابقة، بل الأمر على عكس ذلك تماماً، فإن الأمم السابقة لضعف إيمانها وقلة وعيها احتاجت إلى عدد كبير من الأنبياء كما هو حال بني إسرائيل، أما هذه الأمة المرحومة فقد كفاها نبي واحد اهتدت به، فأغناها عن غيره من الأنبياء.

النبي محمد(ص) ومنطق القوة

• **المتفكر : من المعروف أن الأنبياء ينشرون تعاليمهم بطريقة الحوار وبالتي هي أحسن ، فما بال نبي الإسلام جاء بالسيف ومنطق القوة ؟**

▪ **الحكيم** : ليس الحوار وأسلوب الكلمة الطيبة إلا وسيلة من عدة وسائل يستعملها الداعي، ولعلها أهم وسائله على الإطلاق ، وقد اعتمدها كل الأنبياء عليهم السلام بما فيهم رسول الله (ص) ، وامتلأ القرآن الكريم بالآيات المتحدثة عن دور الحوار والكلمة ، قال تعالى :

{**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي**

هي أحسن}[1] .

وقال تعالى : {**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**}[2] .

وقال أيضاً : {**ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**}[3] .

وليس أدل على اعتماد الإسلام المحمدي الكلمة أسلوباً في الدعوة من القرآن الكريم، فإنه كلام موجه إلى كل الناس يدعوهم إلى الإسلام .

ومع هذا فإن أسلوباً آخر لا بد من استعماله عند الضرورة، ألا وهو أسلوب القوة . وهو أسلوب عام أيضاً لجميع الأنبياء ، ولكنه لم يتيسر لمعظمهم نتيجة ظروفهم القاسية . ولو قدروا على استخدامه لما قصّروا .

قال تعالى حكاية عن لسان النبي لوط عليه السلام :

{**قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد**}[4] .

وأما النبي موسى وداود وسليمان فقد تسنّى لهم ذلك فاستخدموا القوة لنشر الإسلام كما هو معلوم .

1ـ سورة النحل ، آية 125 .

2ـ سورة العنكبوت ، آية 46 .

3ـ سورة فصلت ، آية 34 .

4ـ سورة هود ـ آية 80

وفي إنجيل لوقا عن النبي عيسى عليه السلام أنه قال :

ومن ليس له فليبع ثوبه ويشترِ سيفاً [1] .

وقد عانى الأنبياء السابقون من أممهم كثيراً ، فمنهم من قتل، ومنهم من أحرق ، ومنهم من حاولوا صلبه . وما ذلك إلا لأنهم لم يقدروا أن يعتمدوا السيف في الدفاع عن دعوتهم ، ولكن رسول الله لم يستطع أعداؤه النيل منه لتحصنه منهم بالسلاح والرجال . وهذا ما مكّنه من نشر دعوته على أكمل وجه .

ولم يكن رسول الله (ص) ليضع السيف في موضع تنفع فيه الكلمة، بل لا يعتمد خيار القتال إلا كخيار أخير بعد اليأس من العلاج الآخر .

وليس رسول الله (ص) أرحم من الله بعباده ، فهو مع ذلك يقول له في أكثر من موضع :

{يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم} [2] .

1ـ إنجيل لوقا ، إصحاح 22 ، مقطع 36 .

2ـ سورة التوبة ، آية 73 ، وسورة التحريم ، آية 9 .

المجلس الخامس

في بيان أسرار الإمامة

أدلة لزوم الإمامة

• **المتفكر : ما المقصود بالإمامة التي هي أصلٌ من أصول الدين ؟**

▪ **الحكيم :** الإمامة لغة هي تقدم شخص على آخرين ليقتدوا به ، إما من جهة خاصة كإمام الجماعة، فهو قدوة في الصلاة فقط، وإما من جهة عامة فهو الإمام بقول مطلق، إذ هو القدوة لجميع الناس في مختلف شؤون الحياة . ولما كان الرسل مشاعل نور ، يهتدي بهم الناس، ويقتدون بهم كانوا أئمة هداةً إلى الله تعالى .

قال عز وجل :

{**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين**}[1] .

ومنصب الإمامة أعلى رتبة من مقام النبوة إذ ليس كل نبي يجعل قدوة للناس .

قال تعالى لخليله إبراهيم عليه

1ـ سورة الأنبياء ، آية 73 .

السلام بعدما مضى على نبوته برهة من الزمن : { **إني جاعلك للناس إماماً** }[1] .

وهي عندنا منصب إلهي ورئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نقوم مقام النبوة في حال عدمها . فلا بد من وجود إمام مفترض الطاعة في كل عصر إلى يوم القيامة ، ولا فرق بين النبوة والإمامة إلا بالوحي .

• المتفكر : ما الدليل على لزوم الإمامة وضرورة وجود إمام في كل عصر ؟

▪ **الحكيم :** ذات الدليل العقلي الذي سقناه على ضرورة إرسال الرسل هو الدليل هنا القاضي بلزوم وجود إمام في كل عصر بحيث لا تخلو الأرض من حجة ، كي لا يتيه الناس في أودية الضلال ، فهم يحتاجون إلى مَثَلٍ أعلى مسدّد يرشدهم ويعلمهم، ويبيّن لهم ما يحتاجونه من أحكام ﷲ .

وهذا المثل الأعلى إما أن ينزل عليه الوحي فهو النبي أو لا فهو الإمام الذي يقوم مقام النبي في كل وظائفه ، إلا أنه يبين للناس شريعة النبي لا أنه يأتي بتشريع جديد في مقابل التشريع الذي جاء به النبي ، وهذا مستمرٌ إلى يوم القيامة لكي لا

1ـ سورة البقرة ، آية 124 .

يكون للناس على الله حجة .
والأمة وإن بلغت مرحلة من النضوج الفكري جعلتها تؤمن بالخطوط العريضة لرسالات الله إلا أنها لا تستغني عمّن يبين لها تفاصيل تلك الرسالات ، ويدافع عن الأصول والكليات، فيحميها من شبهات المضلين، ويسدد خطى العلماء إن زلّت بهم الأقدام (1) .

1ـ ولكي يتضح لك لزوم الإمامة تدبر هذا المثال: وهب الله تعالى لكل واحد منا حواساً خمساً يلمس بها الأشياء، ويسمع بها الأصوات ، ويرى الموجودات ، ويشم ويذوق بواسطتها أيضاً، وكل واحدة من هذه الحواس قابلة لأن تخطئ ، فقط ترى العين نقطة اللهب الموجودة في طرف حبل مشتعل دائرة من اللهب حينما تُديره بسرعة، وقد تحس يدنا بالبرودة عندما نضعها في ماء ساخن بعد وضعها في ماء بارد . وقد نشعر أننا لا نزال نسمع دقات الساعة ولو بعد إبعادها عن الأذن .. وهكذا ، فتحتاج هذه الحواس إلى ما يصحح لها خطأها فتعود في ذلك إلى العقل الذي يبين الأمور ويظهر العلة في وقوع الحواس بالخطأ .
فجسم الإنسان صاحب الحواس الخمس لم يستغنِ عن إمام يسدد خطى حواسه . فكيف بأمة قائمة برأسها فيها مئات الملايين من البشر ؟ ألا تحتاج إلى إمام معصوم عن الخطأ يسددها ويرعى شؤونها ، وهي عرضة للخطأ أكثر من الحواس بكثير ؟

• المتفكر : ألا يكفي القرآن لهداية الناس وتسديدهم وهو المعجزة الخالدة ؟

▪ **الحكيم :** القرآن إمام يهدي الناس، إلا أنه إمام صامت لا يمكنه أن يُعرب عن كثير من الأمور الخلافية ، والقرن حمّال وجوه ، وهو قابل للتأويل ، ألا ترى أن آية واحدة تحتمل عدداً كبيراً من التفسيرات ، فيأخذ كل أناس بما يلائمهم، فيقع بينهم الخلاف والمشاحنة ، وليس بمقدور القرآن أن يبيِّن لصاحب التفسير الخاطئ خطأه . أما الإمام فهو ناطق ، يفسّر كلام ﷲ تعالى على وجهه الحقيقي دون أن يسمح لأصحاب المآرب باستخدام الآيات المتشابهة لتحقيق مصالحهم وبث أفكارهم المسمومة .

والقرآن موجود بين أيدي المسلمين منذ أن ارتحل عنهم نبيهم (ص) ، ومع ذلك فقد تفرقوا شيعاً، فلو كان وجود القرآن أو حتى السنة الشريفة كافياً في رفع الخلاف ما احتاجت الأمة إلى الإمامة ، ولكن كما ترى .

والقرآن بمثابة الخريطة التي تحدد معالم الطريق للوصول إلى بر الأمان، والإمام هو الربان الماهر الذي عليه أن يستفيد من هذه الخريطة لإيصال السفينة إلى ساحل

النجاة ، فلو أعطينا الخريطة بيد البحارة العاديين لاختلفوا في حل رموزها ، واقترح كلٌ منهم اتجاهاً مغايراً لاتجاه الآخر مما يؤدي إلى الضياع وتحطم السفينة وهلاك من بداخلها.

قال رسول الله (ص) : **«إني تارك فيكم الثقلين ؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبداً»** [1] .

ومن هنا نعرف أن الحديث الموجود في أيدي بعض المسلمين من أن الثقلين هما كتاب الله وسنّة النبي ليس صحيحاً، إذ ليست السنة بأبعد من القرآن عن التأويل ، بل هي قابلة للتحريف أيضاً ، والقرآن غير قابل لذلك كما بيّنا . وعليه فلا تنفع السنة في صيانة الأمة عن الضلال ، بل لم تزدهم إلا اختلافاً حيث حرّفوها ، ووضعوا الأحاديث الكاذبة على لسان الرسول (ص) ، وتركوا اتّباع أهل البيت ، فضلّوا .

ولو أخذ الناس بقولهم عليهم السلام لاهتدوا ، ولساروا على هدى القرآن ، وحُملوا على المحجة البيضاء .

1ـ بحار الأنوار ، ج23 ، ص 106 ، باب 7 ، ح 7 .

طرق إثبات الإمامة

• **المتفكر : النبوة تثبت بالمعجزة فكيف تثبت الإمامة ؟**

▪ **الحكيم** : الإمامة منصب يشترط فيه ثلاثة أمور :

1- أن يكون الإمام معيَّناً من قبل الله تعالى ، لا من قبل أحد من البشر حتى ولو كان نبياً .

2- أن يكون مؤيداً بالعلم الإلهي ، فلا يحتاج إلى علم أحد .

3- أن يكون معصوماً كما الأنبياء عليهم السلام .

من هنا لا تثبت إمامة الإمام إلا بالتعيين الإلهي الذي يُستكشف من خلال نص صريح قطعي صادر عن رسول الله (ص) أو عن الإمام السابق الذي ثبتت إمامته بالنص الصريح القطعي .

ولأجل هذه الشرائط الثلاثة وقع الخلاف في مسألة الإمامة بين المسلمين .

• **المتفكر : من هم الأئمة الذين ثبتت إمامتهم بالدليل القطعي المذكور ؟**

▪ **الحكيم** : روى كل المسلمين حديثاً متواتراً عن الرسول (ص) يقول : الخلفاء من بعد إذنا عشر كلهم من

قريش[1] .

وقد عدّدهم بأسمائهم وأسماء آبائهم في عدد كبير من الروايات يمكن مراجعتها في الكتب المختصة ككتاب كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر للخزز، وكتاب منتخب الأثر للكلبايكاني ، وكتاب مقتضب الأثر لابن عياش وغيرها .

وهؤلاء الأئمة الإثنا عشر هم :

1- علي بن أبي طالب× .

امتدت إمامته من وفاة النبي سنة 11 إلى سنة 40 للهجرة .

2- الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب× .

امتدت إمامته من سنة 40 إلى سنة 50 للهجرة .

3- الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب× .

امتدت إمامته من سنة 50 إلى محرم سنة 66 للهجرة .

4- الإمام علي بن الحسين زين العابدين × .

امتدت إمامته من سنة 61 إلى سنة 95 للهجرة .

5- الإمام محمد بن علي الباقر × .

امتدت إمامته من سنة 95 إلى سنة

1ـ تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، ص 10 .

114 للهجرة .

6- الإمام جعفر بن محمد الصادق× .

امتدت إمامته من سنة 114 إلى سنة 149 للهجرة .

7- الإمام موسى بن جعفر الكاظم × .

امتدت إمامته من سنة 149 إلى سنة 183 للهجرة .

8- الإمام علي بن موسى الرضا× .

امتدت إمامته من سنة 183 إلى سنة 2203 للهجرة .

9- الإمام محمد بن علي الجواد× .

امتدت إمامته من سنة 203 إلى سنة 225 للهجرة .

10- الإمام علي بن محمد الهادي× .

امتدت إمامته من سنة 225 إلى سنة 254 للهجرة .

11- الإمام الحسن بن علي العسكري× .

امتدت إمامته من سنة 254 إلى سنة 260 للهجرة .

12- الإمام محمد بن الحسن الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف .

بدأت إمامته سنة 260 للهجرة ، ولا تزال إلى يومنا هذا . فهو إمام العصر الغائب الذي نترقب ظهوره ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً

وجوراً .

هؤلاء هم الأئمة الإثنا عشر الذي بشّر بهم رسول الله (ص) . وكلهم من ذريته بل هو وَلَدَهم ، وكلهم من قريش ، وكلهم هارون مهديون معصومون عن الخطأ، لم يذكر عنهم التاريخ إلا فعل الخيرات والعلم والعمل الصالح .

• **المتفكر : لماذا لا بد من النص والتعيين لثبوت الإمامة ألا تستطيع الأمة اختيار أئمتها ؟**

▪ **الحكيم** : لما كانت الإمامة مكمِّلة لدورة النبوة، ولم يكن بمقدور الأمة أن تختار لنفسها نبياً لم يكن بمقدورها أيضاً أن تختار إماماً ، إذ لا تستطيع الأمة مهما بلغت من النضوج الفكري والوعي الديني أن تعرف جوهر الأشخاص وحقيقتهم ، فقد يقع اختيارها على أشخاص غير صالحين لهذا المنصب فتضيع وتهلك بهم .

من هنا لا شرعية للإنتخاب ما لم يؤيده الشره .

وليس النبي هو الذي يحدد الأئمة من عند نفسه، إنما هو اختيار إلهي يبلّغه النبي لأمته، إذ النبي نفسه قد لا يُفلح في اختيار الأصلح لولا التسديد الإلهي .

استمع إلى قول الله تعالى :

{**واختار موسى قومه سبعين رجلاً**}[1] .

ثم استمع إلى قوله تعالى يحدثنا عن هؤلاء كيف طلبوا من موسى أن يريهم الله جهرة .

{**وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون**}[2] .

فإذا كان الاختيار البشري غير مضمون الصوابية حتى لو كان من نبي فما الذي يضمن صوابية اختيار الأفراد العاديين ، مع احتمال وقوعهم تحت تأثير القوة والإعلام والطمع وغير ذلك أو نشوء اختيارهم من دواعي الجهل والعصبية والهوى .

• **المتفكر : ما الذي يؤكد أن النبي (ص) نصّ على إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام دون سواه ؟**

▪ **الحكيم :** لم يدّعِ أحدٌ من المسلمين أن رسول الله (ص) نصّ على إمامة أحد غير علي عليه السلام، بل ينكر غالبهم أصل موضوع استخلاف النبي (ص) لأحد من الناس، فيقولون أن النبي (ص) ارتحل ولم يستخلف أحداً ، فقامت الأمة واختارت لنفسها خليفةُ نصّبته عليها قائداً سياسياً ليحكم

1ــ سورة الأعراف ، آية 155 .

2ــ سورة البقرة ، آية 55 .

البلاد، ويسوس شؤون العباد لا إماماً بما لكلمة إمام من معنىً .

وأما النص على إمامة علي عليه السلام فله حديث طويل الذيل، حيث كان ولا يزال موضع أخذ ورد عند بعض فرق المسلمين . وقد ألّفت في ذلك كتب مختصة لإثبات هذا النص عن النبي من طرق العامة والخاصة .

ومن هذه الكتب على سبيل المثال : كتاب الغدير للعلامة الأميني ، وكتاب الألفين للعلاة الحلي . ويمكن مراجعة كتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين فإنه مختصر وافٍ بالغرض .

ومع ذلك نقول على نحو الاختصار الشديد بما يلائم المقام :

قال تعالى : {**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**}[1] .

فالله تعالى يتحدث في هذه الآية عن ولاية الأمر أي القيادة العامة للبشرية، وقد حصرها بثلاث: الله عز وجل، والنبي (ص) ، والمؤمنين .

ثم بين من هم المؤمنون بأوصاف معينة أجمع المفسرون المتصفون على أنها لم تثبت إلا لعلي بن أبي طالب عليه السلام .

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن

1ـ سورة المائدة ، آية 55 .

سفيان عن أبي عوانه عن المغيرة عن أبي عبيد عن ميمون عن أبي عبد الله قال: قال زيد بين أرقام وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله (ص) بوادٍ يقال له: وادي خُم، فأمر بالصلاة، فصلاّها بهجير - أي تحت حرارة الظُهر الشديد - قال:

«من كنت مولاه فإن علياً مولاه اللهم عادِ من عاداه، ووالِ من والاه» [1].

وقد أخرجهع العلامة الأميني في الجزء الأول من الغدير عن مائة وعشرة من أعاظم الصحابة.

وأما في موضوع النص على الأئمة الاثني عشر فقد روى علي بن محمد بن علي الخزاز في كتاب كفاية الأثر قال:

حدثني أبو الحسن علي بن الحسين قال: حدثني أبو محمد هارون بن موسى التعلكبري رضي الله عنه قال: حدثنا الحسن بن علي بن زكريا العدوي النصري عن محمد بن إبراهيم .. إلى طاووس اليماني عن عبد الله بن عباس قال:

دخلت على النبي (ص) والحسن على عاتقه والحسين على فخذه يلثمهما ويقول: اللهم والِ من والاهما، وعادِ من عادهما.. إلى أن قال ابن

1ـ مسند أحمد بن حنبل، ج1، ص 372.

عباس: قلت يا رسول الله فكم الأئمة بعدك ؟

قال(ص) : بعدد حواري عيسى وأسباط موسى ونقباء بني إسرائيل.

قلت : يا رسول الله ، فكم كانوا ؟

قال: «**كانوا اثني عشر، والأئمة بعدي إثناء عشر، أولهم علي بن أبي طالب ، وبعده سبطاي الحسن والحسين، فإذا انقضى الحسين فابنه علي، فإذا انقضي علي فابنه محمد ، فإذا انقضى محمد فابنه جعفر، فإذا انقضى جعفر فابنه موسى، فإذا انقضى موسى فابنه موسى ، فإذا انقضى موسى فابنه علي علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه الحسن، فإذا انقضى الحسن فابنه الحجة**»[1] .

1ـ كفاية الأثر ، الخزاز ، ص 16 .

عصمة الإمامة

• **المتفكر : ما الدليل على أن هؤلاء الأئمة معصومون عن الخطأ والمعصية ؟**

▪ **الحكيم :** إن ذات الدليل دل على عصمة الأنبياء يقضي بعمة الأئمة، إذ الإمامة، وكما ذكرنا، تقوم بذات الدور الذي كانت النبوة مضطلعة به. وقد أشرنا في ما سبق إلى أن دور الإمام تسديد الأمة وبيان خطأها فإذا كان يحتمل في حقه الخطأ أيضاً لم يبق لوجوده فائدة .

وبالإضافة إلى الدليل العقلي فقد أثبت عصمتهم القرآن الكريم والسنّة الشريفة والواقع والوجدان .

قال تعالى : {**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**}(1) .

وأي رجس أشد من الوقوع في المعصية أو الكذب أو الخيانة أو الجهل أو النكول عن الحق .

وقد روى جمهور العامة فضلاً عن الخاصة من مفسرين ومحدثين ومؤرخين أن أهل البيت هم فاطمة وزوجها علي

1ـ سورة الأحزاب آية 33.

وابناها الحسن والحسين عليهم السلام .

ومن فسّر الآية بزوجات النبي فقد كذّبته اللغة حيث وردت الآية بضمير الجمع المذكر، ولو كانت الآية ناظرة إلى نساء النبي فقط لوردت بضمير الجمع المؤنث .

وكذّبه الواقع أيضاً ، حيث ثبت في حق بعضهن الخطأ والجهل كما حصل في حرب الجمل وغيرها .

وكذّبه القرآن أيضاً ، فسورة التحريم تحدثنا عن الحلف النسوي الذي كان بين بعض زوجاته (ص) للتظاهر عليه .

والتاريخ حاكم في كل ذلك .

ولم يسجل التاريخ على ما فيه من تزييف أن خطأ واحداً صدر عن هؤلاء ولا عن الأئمة من بعدهم ، وإن كنت لا تزال في ريب من هذا فراجع سيرتهم بإمعان وإنصاف .

علم الأئمة

• المتفكر : النبي عيبة العلم الإلهي لاعتماده على الوحي، فمن أين للإمام العلم الإلهي الذي لا بد منه في الإمامة ؟

▪ **الحكيم** : تواترت الروايات عن رسول الله (ص) تقول: أنا مدينة العلم

وعلي بابها ؟ وتقول : علي أعلمكم ، علي أفقهكم ، علي أقضاكم.

روى أخطب خطباء خوارزم في مناقبه والحاكم النيسابوري في المستدرك وابن عساكر في تاريخه وغيرهم أن رسول الله (ص) قال :

«أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتِ من الباب»[1] .

والسر في وجود هذا العلم عند علي عليه السلام هو إخبار رسول اللخ (ص) له بكل ما جاء به الوحي، فقد قال علي× عن ذلك :

«إن رسول الله (ص) علّمني ألف باب من الحلال والحرام ومما كان ومما يكون إلى يوم القيامة، كل باب منها يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب»[2] .

ونقل عليٌّ ما لديه من علم إلى ولديه الحسنين ، ثم انتقل هذا العلم إلى الأئمة من بعدهم، وهكذا من صدر إلى صدر، ولم يسجل التاريخ أن أحداً من الأئمة درس على أحد من

1ـ مناقب الخوارزمي ، ص 83 . والمستدرك ، للحاكم النيسابوري ، ج2 ، ص 126 . وتاريخ ابن عساكر ، ج2 ، ص 464 .

2ـ الخصال ، الصدوق ، ج2 ، باب الألف ، ح 30 .

الناس، ومع ذلك كانت طلبة العلوم تؤم بيوتهم صباح مساء ينهلون عنهم هذه العلوم . فكانوا ينبوعاً لا ينضب وبحراً لا يُنزف .

وروى الجويني في فرائد السمطين وسبط ابن الجوزي في التذكرة والخوارزمي في المناقب وغيرهم أن علياً عليه السلام كان يقف على المنبر فيقول :

«سلوني قبل أن تفقدوني، فإنما بين الحوائج مني علم جم ، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله(ص) ، هذا ما زقني رسول الله((ص) زقاً من غير وحي أوحي إلي. لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم ، ولأخهل الإنجيل بإنجيلهم ، حتى يُنطق الله التوراة والإنجيل فيقولا: صدق علي...»[1] .

ومما يجدر ذكره هنا أن علم الإئمة لا يقتصر على الأمور الشرعية وإنما يتعداها إلى كل شيء ، إلا أن العلم بغير الشرعيات موجود فيهم بالقوة ، فإن شاءوا أن يعلموا علموا، فهم مؤيدون بالروح القدس، يلقي في روعهم ما يحتاجون إليه . ولهذا الحديث مقام غير هذا .

1ـ فرائد السمطين ، الجويني ، ج1 ، ص 340 ، وتذكرة الخواص . سبط ابن الجوزي ، ص 35 . والمناقب ، الخوارزمي، ص 91 .

إمام العصر(عج)

• **المتفكر : من هو إمامنا في هذا العصر وأين هو ؟**

▪ **الحكيم :** روى أحمد بن حنبل عن رسول الله (ص) أنه قال : من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية [1] .

وفي الكافي عن محمد بن علي الباقر عليه السلام :

من مات وليس له مام فميتته ميتة جاهلية [2] .

ويتضمن هذا الحديث إشارة واضحة إلى انه لا بد من إمام في كل زمان . وإمام هذا الزمان هو الحجة محمد بن الحسن المهدي المنتظر الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف، وقد ولد عليه السلام في سامراء العراق سنة 255 للهجرة، وعاش مع أبيه الإمام الحسن العسكري 5 سنوات فتوفي أبوه سنة 260 للهجرة . وغاب هو عن الأنظار مستتراً من ظلم خلفاء بني العباس .

ولا يزال غائباً إلى يومنا هذا، يرانا ويعرفنا، ونراه ولا نعرفه ، سائحاً في البلاد، يهيئ نفسه للظهور،

1ـ مسند أحمد بن حنبل مسند الشاميين .

2ـ أصول الكافي ، ج1 ، كتاب الحجة ، باب 140 ، ج5 .

ويعدُّ العدة للثورة العالمية الكبرى التي ستملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

وقد أخبر عنه رسول الله، وحدّثنا بظهوره وثورته وعلاماته وأن له غيبتين ؛ صغرى وكبرى بروايات متواترة رواها المسلمون على اختلاف مذاهبهم . وإن اختلفوا في هوية هذا المنتظر المنقذ .

أسرار الغيبة

• المتفكر : ما معنى الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى ؟

▪ **الحكيم :** عندما غاب عليه السلام لأول مرة سنة 260 للهجرة لم تنقطع علاقته بشيعته، فكان يعيِّن شخصاً جليلاً منهم يكون واسطة بينه وبينهم يُسمى سفيراً أو وكيلاً ، وقد عيّن أربعة وكلاء على التوالي هم :

1- عثمان بن سعيد السمّان العمري .

2- محمد بن عثمان بن سعيد العمري .

3- الحسين بن روح النوبختي .

4- علي بن محمد السمري .

فاستمرت هذه الحال إلى وفاة علي بن محمد السمري سنة 229 للهجرة، فلم

يعيّن الحجة عليه السلام وكيلاً خامساً . من هنا دخلت الغيبة مرحلة جديدة أعمق من سابقتها، حيث لا اتصال مباشر بين الإمام الناس، ولا سفارة تصل بينهما .

ومن وجوه الحكمة في وجود غيبتين أن يعتاد الناس على غياب إمامهم، فمن المعروف أن الإمام الهادي والإمام العسكري عليهما السلام كانا كثيراً ما يحتجبان عن أصحابهما وشيعتهما ، فكانت هذه المبادرة خطوة أولى لدفع الناس نحو الاعتماد على أنفسهم ، ثم جاءت مرحلة الغيبة الصغرى فامتدت 69 سنة حملتهم على التعود على غياب الإمام أكثر فأكثر، فكان لا يطل عليهم إلا في حالات قليلة ومن خلال توقيعات يسلمها إلى السفير ليوصلها بدوره إلى الناس .

وأما في مرحلة الغيبة الكبرى فلم يبقَ أمام الناس إلا الاعتماد على أنفسهم كلياً ليواجهوا مصيرهم بأنفسهم مدة تربو عن ألف سنة ليتفرغ هو للإعداد للثورة العالمية التي لا بد منها قبل يوم القيامة .

• المتفكر : سبب وجود الإمام هداية الناس وتسديدهم ، فكيف يغيب عنهم ويبقى إماماً لهم ؟

▪ **الحكيم** : إن الدليل العقلي القاضي بوجود الإمام لا ينافي غيابه

في بعض مراحل إمامته عن أمته، ولا يستمد الإمام إمامته من وجوده بين الناس كواحد منهم كما لم تُستمد النبوة من الظهور في الأمة . فللإمام أن يقوم بدوره بالطريقة التي يراها مناسبة، ولا يقتصر عمله على التبليغ الظاهري المتعارف .

فهذا الخضر عليه السلام يقوم بعمله الموكّل إليه على أكمل وجه وهو غائب عن الأبصار . فهو يعمل بأمر الله وهديه، ويؤدي دوره، فيحمي سفينة الأيام من اغتصاب الملك لها، ويقتل الطفل ليرزق الله أهله هيراً منه ، ويبني الحائط ليسلم الكنز لأصحابه .

وقد غاب النبي موسى عن أمته حينما ذهب للقاء ربه، وحبس النبي يوسف في السجن عدة سنين، ولبث يونس في بطن الحوت مدة لا بأس بها ، ومع ذلك لم يدّع أحد من الناس أن نبوة هؤلاء الأنبياء زالت عنهم لغيابهم عن أممهم .

• **المتفكر : كيف يمكن للأمة أن تستفيد من إمام يغيب عنها مدة مديدة ؟**

▪ **الحكيم** : سُئل هو عليه السلام ذات السؤال : فكتب في توقيع أرسله إلى السائل عبر بعض سفرائه :

«وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي

فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب»[1] .

فالشمس عندما تحتجب بالغيوم لا تكوم معدومة ولا يُعدم نفعها ، فهي تعطينا الدفء والنور وكل أسباب الحياة والبقاء، وكذلك الإمام فهو حتى في حال غيابه يسدد العلماء، ويدفع عن العقيدة الشبهات، ويحمي المجاهدين، ويغيث الملهوفين .

وهو مع ذلك يحضّر للقيام بالدور الأهم الذي أوكل إليه، إلا و هو ملأ الأرض قسطاً وعدلاً .

• **المتفكر : لماذا غاب عن الأبصار، وهل لا يزال السبب قائماً إلى يومنا هذا مع تطاول المدة وتغير الظروف ؟**

▪ **الحكيم** : إن الإمام المهدي عليه السلام هو آخر الأئمة عليهم السلام، وليس من إمام بعده. ومن المعلوم أن الحكومات التي حكمت البلاد الإسلامية كانت جائرة وظالمة ، ولم تعرف قيمة هؤلاء الأئمة ، فحاربتهم، وشردت بهم، وأراقت دماءهم، أو ألقت بهم في السجون . ولو كان هذا الإمام ظاهراً كغيره من الأئمة السابقين للاقى ذات المصير، فقُتل ليطفئ بذلك نور الله،

1ـ إكمال الدين ، الصدوق ، باب 45 ، ح4 ، ص 485 .

ويأبى الله ذلك . من هنا اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون موجوداً بحيث لا تناله أيدي الظلمة، فغاب وسُتر عن الناس كي لا تصل إليه سيوفهم ولا سمومهم ، ولا تقبض عليه جلاوزتهم .

ثم لغيابه دواعٍ أخرى مثل أن لا يكون في عنقه بيعةٌ لأحد، ومثل أن يحمل الأمة على الاعتماد على نفسها فيراقبها من بعيد، ومثل غربلة الناس وامتحانهم ليُعلم من يؤمن به بالغيب ممن هو ضعيف الإيمان لا يرى إلا ما تراه عينه .

وكما ترى فإن أكثر هذه الدواعي لا تزال قائمة إلى اليوم خصوصاً موضوع الامتحان والغربلة، فإذا انتهت فترة الامتحان خرج فبإذن الله ليثبت الذين آمنوا، وينتقم من الكافرين .

• المتفكر : كيف تفسّر طول عمر الإمام المهدي عليه السلام على ضوء الأحاديث التي تُروى عن رسول الله (ص) القائلة: أعمار أمتي بين الستين والثمانين ونحو ذلك ؟

▪ الحكيم :

أولاً : إن هذا الحديث غير صحيح السند، ولا يوجب علماً .

ثانياً : لو سلمنا بصحة الحديث فلا بد أنه ناظرٌ إلى الأعم الأغلب، إذ مما لا ريب فيه ولا شك أن في المسلمين من عمّر أكثر من ذلك .

ثالثاً : هناك أمور كثيرة تميز الإمام عن سائر أفراد الأمة، وهذا واحد منها .

ولا غرابة في طول عمره عليه السلام بعد أن حدثنا القرآن على النبي نوح عليه السلام وطول عمره فقال :

{**فلث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً**} [1] .

وبعد أن حدثنا التاريخ عن الكثير من الشخصيات الإسلامية وغير الإسلامية عمّروا أعماراً مديدة .

ذكر المسعودي في مروج الذهب أن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عاش ألفاً ومائتي سنة [2] .

وقد ألّف في ذكر المعمرين عدة كتب يمكن الرجوع غليها مثل: كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني، ورسالة البرهان على طول عمر صاحب الزمان للعلامة الكراجكي ، بالإضافة إلى كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق .

ومن الواضح أنه لا مانع علمياً من أن يعيش بشريٌ مدة طويلة جداً، وقد اتفقت كلمات الأطباء على أن رعاية الأصول الصحية توجب السلامة من الأمراض، وتؤهل البدن لعمر أطول .

1ـ سورة العنكبوت ، آية 14 .

2ـ مروج الذهب ، المسعودي ، ج2 ، ص 13 .

• **المتفكر : بدأت إمامة الإمام المهدي وهو ابن خمس سنوات، فكيف لنا أن نتخذ الصبيان أئمة ؟**

▪ **الحكيم :** إذا كان الله عز وجل لم يرَ غضاضة في أن يجعل طفلاً رضيعاً نبياً كما هو الحال في عيسى بن مريم عليه السلام، فأي غضاضة في كون ابن خمس سنوات إماماً ؟

قال تعالى :

{**فأشارت إليه قالوا كيف تكلّم من كان في المهد صبياً * قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً**}[1] .

وقال عز وجل عن يحيى عليه السلام :

{**يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً**}[2] .

ونحن إذا نظرنا بعين العقل وجدنا أن مقام النبوة أو مقام الإمامة يحتاجان إلى عدة أمور متى توفرت أمكن النهوض بهما بغض النظر عن السن . فقد تتوفر بالصبي ولا تتوفر في الشيخ الكبير ، وأهم هذه الأمور التسديد الإلهي وهو حاصل للأنبياء والأئمة على اختلاف أعمارهم .

علامات الظهور

1ـ سورة مريم ، آية 29 و30 .

2ـ سورة مريم ، آية 13 .

• المتفكر : متى يظهر الإمام المنتظر ، وما هي أهم علامات ظهوره عليه السلام ؟

▪ الحكيم : ذُكر لظهوره علاماتٌ كثيرة أهمها :

أ- سماع نداء من السماء يقول : ظهر ولي الله فاتبعوه . يسمعه كل نائم وقاعد وكل إنسان بلغته أينما كان .

ب- انتشار الفساد والظلم بدرجة كبيرة ، كما هو الحال في زماننا .

ج- قتل شخصية هامة في الكعبة ظلماً تُعرف بالنفس الزكية .

د- ظهور راية اليماني ، وهي راية هدى تخرج قبل ظهوره عليه السلام .

هـ - ظهور السفياني ، وهو قائد أموي المسلك يُظهر الإسلام ويستبطن الكفر، يتسلط على بلاد الشام ، ويظهر الفتك والظلم، ويُعلن العداوة للمسلمين ، وخصوصاً لاتباع آل محمد (ص) .

• المتفكر : إلى من ترجع الأمة في زمن الغيبة الكبرى في قيادتها وإدارة شؤونها السياسية والحياتية ؟ ومن ذا الذي سيملأ الفراغ الذي يتركه غياب الإمام عليه السلام ؟

▪ الحكيم : سئل هو عليه السلام هذا السؤال فأرجع الأمة إلى الفقهاء العدول الذين يروون الحديث عن

النبي وأهل البيت عليهم السلام .

جاء في كتاب الاحتجاج للطبرسي وفي غيره من كتب الغيبة توقيعٌ وجهه أحمد بن إسحاق إليه عليه السلام يسأله فيه مجموعة أسئلة ، فيقول الإمام عليه السلام :

«وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله» [1] .

والأصل في إرجاع الأمة إلى الفقهاء، فضلاً عن وجود عدد كبير من الروايات تعطيهم هذا الدور، هو حكم العقل بضرورة رجوع العالم إلى الجاهل . والفقيه عالم بأمور الشريعة الإسلامية وأدرى من سائر أفراد الأمة بكيفية تطبيق أحكام الله تعالى وجراء الحدود وبالقضاء وبالحدود المسموح بها في أمور السلم والحرب، وبالأحكام المالية والضريبية وبالأحكام الاجتماعية التي لا بد منها للناس وغير ذلك مما تحتاجه الدولة الإسلامية في إقامة حكم الله تعالى . فهو المتعين للقيادة .

• المتفكر : الفقهاء كثيرون ، فهل يكونون جميعاً رؤساء الدولة الإسلامية في زمن الغيبة ؟

1–

▪ **الحكيم** : لا بد في ذلك من الرجوع إلى أهل الخبرة الذين عايشوا الفقهاء، وأطَّلعوا على علمهم وأهليتهم القيادية ومدى لياقتهم لتحمل هذه المسؤولية . ويشترط فيهم أيضاً كل ما يشترط في الشهود .

وهنا من الطببيعي أن تعمد الأمة إلى إبراز جماعة منها ذوي خبرة في هذا المجال، يعرفون بأهل الحل والعقد ، يقومون بتحديد الولي الفقيه من بين سائر الفقهاء ، فيبايعونه ليتولى حكومة الدولة الإسلامية .

المجلس السادس

في بيان أحوال الموت والمعاد

ولاية الفقيه

• **المتفكر : هل مسألة ولاية الفقيه مسألة عقائدية أو أنها من فروع الدين ليجوز فيها التقليد ؟**

▪ **الحكيم :** مسألة ولاية الفقيه لها جهتان :

الأولى : هي أصل ثبوت الولاية للفقيه أو عدم ثبوتها ، وهي مسألة عقائدية مرتبطة بفهمنا للإمامة ، كما كانت مسألة الإمامة مرتبطة بفهمنا للنبوة ، من هنا سقنا على أصل ثبوت الولاية دليلاً عقلياً كما سمعت .

الثانية : جهة تجديد سعة وضيق دائرة الولاية ، وهل أنها مختصة بالأمور الحسبية التي نقطع بعدم رضا الشارع المقدس بتركها أم أنها أوسع من ذلك بحيث تشمل الحكم والإدارة والقضاء ونحو ذلك . فهذه مسألة فرعية لا بد فيها من الرجوع إلى الأدلة الفقهية التفصيلية لمعرفة الجواب فيها . وعليه فهي من هذه الناحية مسألة تقليدية .

• **المتفكر : ما هو الموت في نظر الإسلام ؟**

▪ **الحكيم :** ليس الموت في نظر الإسلام إلا انتقالاً من مرحلة من مراحل الحياة إلى مرحلة جديدة . ويشبه هذا الانتقال إلى حد ما انتقال الإنسان من عالم الصلب إلى عالم الرحم باللقاح، وانتقاله من عالم الرحم إلى عالم الدنيا بالولادة . ثم ينتقل من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة بالموت .

والموت هو استيفاء الله تعالى للأنفس، ونزعها من الأجسام بعد أن وضعها فيها في عالم الرحم {**الله يتوفى الأنفس حين موتها**}[1] . ولما كان الله عز وجل أكبر وأعظم من أن يباشر هذا العمل بنفسه فقد وكّل به ملكاً من ملائكته عرف بملك الموت يقوم بعملية قبض الأرواح وجمعها .

قال تعالى : {**قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكّل بكم ثم إلى ربكم ترجعون**}[2] .

ومعنى هذا أن الإنسان لا يُعدم

1ـ سورة الزمر ، آية 42 .

2ـ سورة السجدة ، آية 11 .

بالموت ، فإن روحه تبقى ، والجسد يتحلل ليعود عناصر ترابية منبثّة في الأرض .

وتدخل الأرواح بالموت في عالم مثالي هو برزخ بين المادة والتجرد التام إلى يوم القيامة حيث يعيدها إلى الأجسام للوقوف بين يديه الحساب، وبالتالي لنيل الثواب وتلقي العقاب .

فالموت هو القنطرة المعدة للعبور إلى عالم الآخرة . وكل نفس لا بد أنها ستموت . قال عز وجل : {**كل نفس ذائقة الموت**}[1] .

وقال أيضاً : {**كل شي هالك إلا وجهه**}[2] .

الشهادة

• **المتفكر : ما هي الشهادة ؟ وما الفرق بينها وبين الموت ؟**

▪ **الحكيم :** الشهادة منزلة يستحقها من صَبَرَ على نصرة دين الله تعالى صبراً قاده إلى سفك دمه وخروج نفسه دون وهن أو ضعف، فيرتفع شأن صاحبها في الحياة الأخرى حتى يصير صدِّيقاً يشهد على أمته كما يشهد

1ـ سورة آل عمران ، آية 185 .
2ـ سورة القصص ، آية 88 .

الأنبياء على أممهم .

والشهداء خيرة الله ، يختارهم تعالى لما يرى فيهم من أهلية لهذا المقام السامي .

قال عز وجل : {**وليعلم الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء**}[1] .

والشهادة هي نوعٌ خاص من الموت، فهي انفصال الروح عن الجسد كما تنفصل بالموت، إلا أنها تتميز عن الموت العادي بأنها تفتح لصاحبها باباً على حياة أفضل في عالم البرزخ . فالشهداء لقربهم من الله تعالى ينعموم بالنعم الإلهية، ويتمكنون من الاطلاع على حياة أهلهم وأحبائهم، ويرون منهم ما يسرُّهم، ويتمتعون بحياة مليئة بالملذات مما لا انقطاع له، وهو المستفاد من قوله تعالى: {**لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون**}[2] . حيث نُفي عنهم الخوف والحزن المطلقان . ومن كان يتمتع بكل هذه النعم فهو حيٍّ أكثر من الحيِّ المتعارف الذي يلذ ويألم ويُسر ويساء ويفرح ويحزن ويأمن ويخاف .

من هنا قال تعالى: {**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء**

1ـ سورة آل عمران ، آية 140 .

2ـ سورة يونس ، آية 62 .

ولكن لا تشعرون}[1] .

وقال: {**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون**}[2] .

البرزخ

• **المتفكر : ما هو عالم البرزخ ؟**

▪ **الحكيم :** البرزخ هو المنزل التالي بعد الموت . وهو لغةً الحائل بين بين الشيئين ، وكأن المراد به هنا الحالة الوسطى الفاصلة بين الدنيا والآخرة . قال عز وجل : {**ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون**}[3] .

فكل من مات انتقل إلى عالم البرزخ، ثم يبقى فيه إلى يوم البعث، فإما أن يُنعّم بما قدمه في حياته من عمل صالح، وإما أن يعذب بعمله السيء. وقد ورد في وصف القبر أنه إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار بحسب حالة الميت الإيمانية .

وبما أن الأرواح مجردة عن المادة ، وتنفصل بالموت عن الجسد فإنها تبقى بعد الموت محلاً لحياة من نوع

1ــ سورة البقرة ، آية 154 .

2ــ سورة آل عمران ، آية 169 .

3ــ سورة المؤمنون ، آية 100 .

آخر، تسمح لها بالشعور بالألم واللذة بأحد طريقين :

1- من خلال جعلها في جسد مثالي على صورة الجسد الذي كان لـها في الدنيا ، فيقوم بذات الدور في إيصال الشعور إلى الروح. وهذا ما يكون في عالم البرزخ .

2- الوصول إلى التجرد التام، فتبقى الروح بدون بدن لا مادي ولا مثالي، فتنعّم وتعذّب بما يتلائم معها من أنواع العذاب والثواب، وبما يشبه إلى حد بعيد ما يشعر به النائم من الألم واللذة دون استخدام جسده لنيلها .

وهذا عالمٌ لا يزال تفسيره العلمي عرضة للأخذ والرد بين الفلاسفة والمتكلمين ، ولم تتعرض الآيات ولا الروايات لتفاصيل الحديث عنه، إلا أن هذا المقدار يكفينا .

المساءلة في القبر

• **المتفكر : ما الذي يحصل للإنسان بعد موته ؟**

▪ **الحكيم :** الموت بحد ذاته مشقة هائلة يجتازها الإنسان بتعب وألم، فإذا جُعل في قبره يأتيه ملكان يُعرفان بناكر ونكير، يسألانه عن عقيدته التي كان يحملها في حياته

الدنيا، فإن أجاب بالحق سلماه إلى ملائكة النعيم، فيقيم في النعيم الناشئ من أعماله الصالحة في الدنيا إلى يوم البعث، وإن أجاب بالباطل سلماه إلى ملائكة العذاب، فيقيم في العذاب الحاصل من أعماله القبيحة في الدنيا إلى يوم البعث .

وقد اتفقت كلمة المسلمين على صحة المساءلة في القبر، وصحة عذاب ونعيم القبر .

قال العلامة المجلسي في "عقائد الإسلام" :

فيحيئه الملكان منكر ونكير في صورة مهيبة إن كان معذباً، وبشر وبشير في صورة حسنة إن كان من الأبرار . فيُسأل عن عقائده ومن يعتقده من الأئمة واحداً بعد واحد . فإن لم يجب عن واحد منهم يضربانه بعمود من نار يمتلئ قبره ناراً إلى يوم القيامة . وإن أجاب يبشرانه بكرامة الله، ويقولان له : نم نومه عروس قرير العين[1] .

والمساءلة في القبر عقيدة عامة المسلمين، ولا يختلفون فيها إلا في بعض التفاصيل . قال أحمد بن حنبل في كتابه "السنة" :

وعذاب القبر حق، يُسأل العبد عن دينه وعن ربه، ويرى مقعده من النار

1ـ عقائد الإسلام ، ص 59 .

والجنة ، ومنكر ونكير حق[1] .

أدلَة البعث

• المتفكر : ما الدليل على أن بعد الموت حياة أخرى وبعثاً ونشوراً ؟

▪ **الحكيم :** لما سلّمنا أن الله تعالى عادل وحكيم، ورأينا أن البشر في هذه الحياة ظالمٌ ومظلوم ، صالح وشرير، مطيع وعاص، مؤمن وكافر، ورأينا أنهم ماتوا دون أن ينال المحسن منهم ثوابه والمسيء عقابه، أدركنا أن عدل الله وحكمته لا يمكن أن يتركا البشر على ما هم عليه، فينجو الظالم بفعلته دون حساب، ويبتلع المظلوم مظلوميته دون انتقام وانتصاف . ولما لم يحصل الحساب في الدنيا لا بد أن يحصل في عالم آخر، ويقتص من الظالم، ويُنتقم للمظلوم، ويُعطى كل إنسان من الأجر أو العقاب على حسب عمله، فيسود العدل، ولا يظلمُ أحدٌ أحداً . إذن لا بد من البعث والقيام للمحاسبة .

قال تعالى :

{**أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما**

1ـ السنة ، أحمد بن حنبل ، ص 47 .

لكم كيف تحكمون}[1] .

وقال عز من قائل: {**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون**}[2] .

ولما كان هذا الوجود مخلوقاً على أكمل وجوه الدقة والنظام عرفنا أن الله تعالى حكيم يضع الأمور في مواضعها، ولا يفعل ما يفعل سفهاً ولهواً، وأنه لا بد من هدف عظيم وراء كل هذا الخلق العظيم . ولا يمكن أن يكون هذا الهدف مجرد العيش في هذه الدنيا القليلة الراحة الكثيرة العناء التي يأكل فيها القوي الضعيف، ويتمتع فيها الغني بأموال الفقراء ، ويسفك الظالم دماء الأبرياء . وليس هناك من عالم يكون مجالاً لتجسيد الهدف الأسمى من هذا الخلق البديع سوى عالم الآخرة حيث الخلود إما في نعيم لا يفنى أو في جحيم لا يبرد . قال تعالى :

{**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا تُرجعون**}[3] .

وقال عز من قائل :

{**وما خلقنا السموات والأرض وما**

1ـ سورة القلم ، آية 35 و36 .

2ـ سورة الجاثية ، آية 21 .

3ـ سورة المؤمنون ، آية 115 .

بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون * إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين}[1] .

زكما خلق الله تعالى نبياً في داخل كل إنسان جعل له أيضاً ضميراً ليكون مثالاً لحساب يوم القيامة، فنرى فاعل الخطيئة يشعر بتأنيب الضمير، فيطالبه ضميره ويسائله عما فعل، ويحاسبه، ويعاقبه بنوع من العقوبة قد تكون عند أصحاب الضمائر الحيّة أشد من السجن والإعدام.

فضمائرنا دليلٌ على أن الله تعالى لن يدع المجرم ينجو بفعلته ، ولن يترك المحسن دون مكافأة .

الرجعة

• **المتفكر : ما هي الرجعة ؟ و ما الفرق بينها وبين البعث ؟**

▪ **الحكيم** : عقيدتنا في الرجعة أن الله تعالى يردُّ قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز فريقاً منهم ويذل فريقاً، وذلك قبل أو بعد قيام الإمام المهدي عليه السلام . وهم فريقان ؛ مَن محضَ الإيمان محضاً، ومن محضَ الكفر والنفاقَ محضاً ، وذلك مثل الحسين بن

1ـ سورة الدخان ، آية 38 إلى 40 .

علي عليه السلام ويزيد بن معاوية . فإن الله عز وجل يرجعهما جميعاً قبل يوم القيامة لينتصر للمظلوم ، وينتقم من الظالم في الدنيا قبل الآخرة، ثم يردُّ الظالم إلى عذاب أليم .

وقد دلّ على ذلك الكثير من الآيات والروايات .

منها: قوله تعالى : {**ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون**}[1] .

ولا يمكن أن يراد بهذا الحشر حشر يوم القيامة إذ لا معنى لأن يُحشر في ذلك اليوم من كل أمة فوجٌ ، وإنما يُحشر الناس كلهم دون استثناء .

قال عز وجل : {**وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً**}[2] . وقال أيضاً : {**وكلّ أتوه داخرين**}[3]. وقال : {**وكلهم آتيه يوما لقيامة فرداً**}[4] .

ومنها : ما رواه الصدوق في الفقيه عن الصادق عليه السلام أنه قال :

ليس منا من لم يؤمن بكرَّتنا[5] .

1ـ سورة النمل ، آية 83 .

2ـ سورة الكهف ، آية 47 .

3ـ سورة النمل ، آية 87 .

4ـ سورة مريم ، آية 95 .

5ـ من لا يحضره الفقيه، ج3 ، ص 458 ، ج 4583 .

وأما الحديث في إمكان الرجعة ، فلا داعي له بعد أن أرجع الله تعالى قتيل بني إسرائيل، والنبي العزيز بعد موته مائة عام، وبعدما أرجع عيسى عليه السلام عدداً من الأموات إلى الحياة الدنيا، كل ذلك بنص القرآن .

وأدلُّ دليل على الإمكان الوقوع .

التناسخ

• المتفكر : ما هو التناسخ ؟ وهل هو من عقائد المسلمين ؟

▪ **الحكيم** : التناسخ مأخوذٌ لغة من النسخ، والنسخ هو النقل أو الإزالة ، أي إزالة الشيء بشيء آخر . والتناسخ المصطلح عليه هو انتقال روح الإنسان من بدن إلى بدن آخر في عالم الدنيا، فإذا مات الثاني انتقلت إلى الثالث، وهكذا في حركة دائمة وبلا توقف، وقد يكون البدن الذي تنتقل إليه بدن حيوان أو نبات، أو إنسان، على حسب المذاهب المختلفة للقائلين بالتناسخ . وهو ما يُعرف اليوم باسم "التقمّص" .

وليس التقمص من عقائد الإسلام، وإن قال به بعض المنتسبين إليه، وهي عقيدة باطلة دخلت إلى أذهان البعض من خلال كتابات الفلاسفة اليونانيين القدماء في عصر الترجمة . وهي تنافي في جوهرها الإيمان بالمعاد، الأصل الخامس من أصول الدين، وتتضمن في طياتها إنكار يوم القيامة، وذلك لأنها تنص على أن الصالح إذا مات انتقلت روحه إلى بدن إنسان مرفّه منعم كثواب له على صلاحه في حياته، وأما المجرم فتنتقل نفسه إلى

بدن حيوان مستخدم أو فقير معذب كجزاء على عمله السيئ . وعلى هذا يقتصر الثواب والعقاب عند هؤلاء على ما تلاقيه هذه الروح في عالم الدنيا ، وهذا وإن لم يكن كفراً صريحاً إلا أنه يتضمن نوع إنكار للثواب الأخروي . وهنالك لوازم أخرى أكثر فساداً .

من هنا لا يقول المسلمون بالتناسخ، وليس ذلك من عقائدهم .

• **المتفكر : هل من المعقول أن نعود ثانية إلى الحياة بعد أن تصبح أجسامنا رماداً ؟**

▪ **الحكيم :** قال الله عز وجل في طرح هذه الشبهة على لسان الكافرين :

{**قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون * لقد وُعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إنّ هذا إلا أساطير الأولين**}[1] .

تكرر طرح هذا السؤال مراراً في عهود الأنبياء السابقين كافة، وكأن هذا الاستبعاد هو أهم استبعاد يطرأ على الذهن البشري .

من هنا تعرضت الآيات الكثيرة للجواب عن هذا السؤال ، قال تعالى :

{**وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها**

1ـ سورة المؤمنون ، آية 82 و83 .

الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم} [1] .

{أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يَعيَ بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى} [2] .

{وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون} [3] .

وخلاصة هذه الآيات ثلاثة أجوبة دامغة :

1- إن الذي أوجد البشرية من العدم أقدر على إيجادها ثانية من تراب، وذلك لأن الإبداع أصعب بكثير من الإعادة والتكرار، والاختراع أشق من التقليد .

2- إن الله تعالى خلق ما هو أصعب من إعادة الحياة للميت، وهو السماوات والأرض بكل ما فيهما من آيات ، فلن يصعب عليه ما هو أسهل .

3- إن الله تعالى يحيي الموتى أمام أعيننا في الدنيا ، وذلك عندما يحيي الأرض بعد موتها ، فلن يعجزه أن يحيي الإنسان بعد موته .

1ـ سورة يس ، آية 78 و79 .

2ـ سورة الأحقاف ، آية 33 .

3ـ سورة الأعراف ، آية 57 .

والبعث حقيقة أثبتتها كل الشرائع السماوية ، وحكم بها العقل كما قدمنا، فلا سبيل إلى إنكارها. ومجرد الاستبعاد لا يعني عدم إمكانه، وقد استبعدت عقول الناس قبل ألف سنة الصعود إلى القمر، ثم حصل .

• المتفكر : ما الذي سيحصل بعدما نبعث من قبورنا يوم القيامة ؟

▪ **الحكيم** : يخرج الناس من قبورهم عند سماع الصيحة متوجهين إلى ساحة المحشر ليروا عالماً غير العالم الذي ألفوه ، فالأرض مسطحة، والجبال رخوة كالقطن ، وكل بني آدم منتشرون هنا وهناك لا يهتم أحد لأحد . حتى إذا انتهى البعث ووقف الناس جميعاً بين يدي الله جل جلاله أعطي كل واحد منهم كتابه الذي فيه أعماله وأقواله صغيرها وكبيرها، فمنهم من يتلقاه بيمينه ، وذلك يعني البشري، ومنهم من يتلقاه بشماله أو من وراء ظهره، وذلك يعني المصيبة .

ثم يبدأ الحساب والمحاكمة، ويحضر الشهود الذين لا تتطرق لشهاداتهم الشبهات ، وهم :

1- الله جل جلاله، وهو خير الشاهدين .

2- الأنبياء عليهم السلام ، فيشهد كل نبي على أمته .

3- الملائكة ، فيشهد الملكان

الموكلان بالشخص بما كان منه من فعل أو قول .

4- الأرض التي عاش الإنسان عليها تشهد بما قام به على ظهرها من عمل حسن أو قبيح .

5- أعضاء البدن من جوارح وجلود .

ثم يوضع الميزان الإلهي فتوزن بها أعمال البشر بعد ثبوتها عليهم ليُعرف الصالح من الطالح، ومقدار ما تستحقه من عذاب أو نعيم .

قال تعالى : {**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**}[1] .

ثم يُنصب الصراط فوق النار للعبور إلى الجنة، وهو عبارة عن جسر معنوي أدق من الشعرة وأحد من السيف، فيحمل كل واحد من الناس أوزاره على كتفه ويعبر، فمن كان حمله خفيفاً سار بسرعة ، فلا تحرقه النار، ووصل إلى الجنة، ومن كان حمله ثقيلاً فإما أن يتمكن من السير به ولو على مهل فتناله النار إلى أن يصل ، وقد يستغرق مروره مئات السنين، وإما أن لا يتمكن من النهوض بأوزاره لكثرتها، فتهوي به في نار جهنم ، فيبقى فيها ما شاء ربك إلى أن

1ـ سورة الأنبياء ، آية 47 .

تدركه الشفاعة، إن كان أهلاً لها، فيخرج منها . كل هذا مستفاد من الآيات والروايات . قال تعالى : {**وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون**}[1] .

وقال أيضاً : {**ثم ننجّي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً**}[2] .

1ـ سورة المؤمنون ، آية 74 .

2ـ سورة مريم ، آية 72 .

الشفاعة

• المتفكر : ما هي الشفاعة ؟ ثم ألا تنافي حكمة الله القاضية بتعذيب المجرم ؟

▪ **الحكيم :** لقد منّ الله سبحانه وتعالى على قوم بأن أعطاهم صلاحية الشفاعة لبعض الناس ، وأذن لهم أن يتدخلوا لإخراج جماعة من النار وإنقاذهم من العذاب . وهذه المنة نابعة من رحمته تعالى، ولون من ألوان هذه الرحمة فلا تتنافى مع الحكمة، وهي في ذات الوقت إكرام للشفعاء لتضحياتهم في الحياة الدنيا لأجل نشر الإسلام وإقامة الحق . وهم الأنبياء والأئمة والشهداء والصديقون وبعض المؤمنين الحقيقيين .

وتختص هذه الشفاعة بالمسلمين، فلا تنال سواهم ، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى على لسان الكفار :

{**فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم**} [1] ، مما يعني وجود شافعين لغيرهم وإلا لما كان لهذه الشكوى

1ـ سورة الشعراء ، آية 100 و101 .

معنى ما داموا مشتركين مع غيرهم فيها . وإنما شعروا بالحسرة فقالوا هذه القول . والحسرة نوع من العذاب أيضاً . قال تعالى : {**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون**}[1] .

وورد عن رسول الله (ص) أنه قال :

«**إني أشفع فأُشفّع ، ويشفع علي فيُشفّع ، ويُشفع أهل بيتي فيشفّعون ، وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع في أربعين من إخوانه كل قد استوجبوا النار**»[2] .

وقال تعالى مخاطباً نبيه (ص) :

{**ولسوف يعطيك ربك فترضى**}[3] .

روى السيوطي في الدر المنثور في تفسير هذه الآية عن شريح القاضي أنه قال لمحمد الباقر عليه السلام : أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق ، أحق هي ؟

قال : إي والله ، حدثني عمي محمد بن الحنفية عن علي أن رسول الله (ص) قال: أشفع لأمتي حتى يناديني ربي : أرضيت يا محمد؟ فأقول : نعم يا رب رضيت .. إلى أن قال عليه السلام :

1ـ سورة مريم ، آية 39 .

2ـ بحار الأنوار ، ج 8 ، باب 21 ، ح 33 ، ص 30 .

3ـ سورة الضحى ، آية 5 .

فكلنا أهل البيت نقول أن أرجى آية في كتاب الله : {**ولسوف يعطيك ربك فترضى**}[1] . وهي الشفاعة .

ثم إن الحكمة تقتضي أصل التعذيب ليذوق المجرم وبال أمره ، وأما الشفاعة فهي ناشئة من رحمته ، ورحمته واسعة، لا مانع من أن تشمل بعض المذنبين لحكمة في العفو عنهم ولو كانت تلك الحكمة إدخال الحسرة على الكافرين . وعليه فلا تنافي بين الرحمة والحكمة .

قال تعالى : { **إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** }[2] .

• المتفكر : ألا تؤدي فكرة الشفاعة إلى الجرأة على المعصية اتكالاً على الشفاعة ؟

▪ **الحكيم** : ليست الشفاعة مطلقة من كل قيد ومحررة من كل شرط حتى يطمع فيها من لا يستحقها ، وحتى يتخذها الطغاة والعصاة وسيلة لتبرير أفعالهم . وإنما هي مشروطة بعدة شروط لا بد أن تتوفر في المشفوع له، ومنها ، حسبما يفهم من الآيات الروايات :

1- عدم الشرك بالله فضلاً عن عدم

1ـ الدر المنثور ، ج 6 ، ص 361 .

2ـ سورة النساء ، آية 48 .

الإلحاد به .

2- التشهد بالشهادتين عن صدق وإخلاص .

3- عدم نصب العداء لمحمد وأهل بيته عليهم السلام .

4- عدم الاستخفاف بالصلاة وبأحكام الله تعالى .

5- عدم ارتكاب المعاصي عناداً لله واستكباراً عليه .

6- الإيمان بشفاعة رسول الله وأهل بيته .

ومع توفر هذه الشروط فإن الشفاعة تصبح عاملاً مساعداً على الطاعة، فتنقذ العاصي من هوة اليأس من رحمة الله، شأنها في ذلك شأن التوبة ، إذ التوبة باب مفتوح في الدنيا لكل عاص كي لا يتسرب اليأس إلى قلبه، فيقبل على المعاصي أكثر فأكثر . والشفاعة هي باب مفتوح في عالم الآخرة يساعد العاصين على التخلص من عقدة الذنب ، ويضيء لهم شمعة الأمل بالنجاة إن هم أصلحوا وتابوا إلى الله من قريب.

التوبة

• المتفكر : ما هو التوبة ؟ و ما مدى نفعها للمذنبين ؟

▪ **الحكيم** : التوبة هي الرجوع إلى الله عز وجل . والمراد منها الإقلاع عن المعصية والإقبال على الطاعة كي لا يتملك الإنسان المذنب الشعور بالخطيئة واليأس من قبوله من جديد في ساحة رحمة الله . لذلك قال تعالى مخاطباً عباده بغاية الشفقة والرحمة والرقة .

{**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم**}[1] .

وقد وعد الله التائبين أن يمحوَ عنهم خطاياهم التي سلفت، ويعتبرهم مولودين حديثاً ليجدد لهم المضمار للسباق عسى أن يصلحوا، وهذا ما يسمى بالتكفير ، فقال تعالى :

{**الذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزّل على محمد وهو الحق من ربهم كفَر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم**}[2] .

وقال أيضاً : {**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم**}[3] .

وباب التوبة مفتوح في كل آن لمن

1ـ سورة الزمر ، آية 53 .

2ـ سورة محمد ، آية 2 .

3ـ سورة التحريم ، آية 8 .

يشاء قبل أن يأتيه الموت، أما إذا تاب بعد اليأس من الحياة فلا تعدُّ توبة مقبولة . قال تعالى :

{**وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً**}[1] .

والجدير ذكره هنا أن الإسلام يجبُّ ما قبله ، أي من كان كافراً فأسلم فكأنه ولد حديثاً ، ويُمحى عنه كل ما فعله في زمن الكفر ولا يحاسب عليه .

المعاد الجسماني

• **المتفكر : هل يبعث الناس يوم القيامة بأجسادهم هذه التي لا ريب أنها ستبلى أم بأرواحهم فقط ؟**

▪ **الحكيم** : البعث الذي حدثنا به القرآن الكريم هو البعث الجسماني، أي اجتماع روح وجسم،ووقوف الإنسان كاملاً بين يدي الله عز وجل للحساب في ذلك اليوم. وهذا المعنى هو المفهوم من كلمات أهل الشرع، وعليه فهو ما يجب الاعتقاد به. وقد تحدثت عنه الآيات القرآنية في أكثر من مورد بطريقة واضحة لا تقبل التأويل . قال تعالى :

1ـ سورة النساء ، آية 18 .

{وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم}[1] .

وقال المفسرون : إن هذه الآية نزلت في أُبي بن خلف عندما خاصم رسول الله (ص) وأتاه بعظم قد رُمّ وبلى ، ففتّه بيده وقال :

يا محمد ، أترى الله يحيي هذه بعدما رُمَّت ؟

قال (ص) : **«نعم، ويبعثك، ويدخلك النار»**[2] .

وهذا كما ترى واضح كل الوضوح بالبعث الجسماني .

وقد أنكر بعض الفلاسفة المعاد الجسماني ، وطرحوا أمام إمكانه مجموعة موانع ما هي إلا شبهات تزول عند التأمل الصادق . منها :

1- البدن يفنى بعد الموت ويُعدم ، والمعدوم لا يعاد بعينه إلى الوجود، وإن الذي يُخلق من جديد هو مِثلٌ له يشبهه تماماً إلا أنه ليس عينه . وهذا بخلاف الروح فإنها جوهر مجرد لا يفنى ولا يعدم، فتبقى بعينها إلى يوم البعث .

1ـ سورة يس ، آية 78 و79 .

2ـ الكشاف ، الزمخشري ، ج4 ، ص 30 . وتفسير الصافي ، الكاشاني ، ج2 ، 416 .

وتنحل هذه الشبهة بأن نعلم أن إعادة المعدوم ، وإن كانت غير ممكنة بالمعنى الفلسفي، أي إعادته بكل مشخصاته حتى الزمانية منها إلا أنه ممكن بالمعنى العرفي وهو إعادته حاوياً على كل الصفات التي كانت موجودة في المعدوم بحيث لا يُرى بينه وبين المعاد فرقٌ في نظر البشر .

ثم إن الروح تبقى، ولا تعدم، والإنسان إنسان الجسم، فهو مجرد آلة ، فأي جسم تقوم فيه الروح يمكّنها من الشعور باللذة والألم .

2- نحن نعلم أن الإنسان بعد موته ينحل إلى مواد عضوية تدخل في نمو النباتات ، ثم تأكلها الحيوانات ، ثم يأكل الإنسان الحيوانات، فيكون الإنسان قد أكل الإنسان، فكيف يمكن بعث الآكل والمأكول معاً مع أن جسم الآكل مكوّن من عناصر جسم المأكول .

ويمكن طرح السؤال بطريقة أخرى ، وهي أنه لو فرضنا أن مؤمناً مات غَرَقاً، فأكلته سمكة، ثم اصطاد كافرٌ تلك السمكة وأكلها، فيصير المؤمن في جوف الكافر، فكيف يُبعث كل منهما، وكيف يعذب أحدهما ويثاب الآخر ؟

هذه الشبهة من أهم شبهات الفلاسفة على المعاد الجسماني ، وتُعرف بشبهة الآكل والمأكول .

وجوابها : أن الجسم بالنسبة للإنسان لا يمثل شيئاً، فهو يحيَ بروحه، وهو هو بهذه الروح . ولو تغير كل أعضاء جسمه وكل خلاياه فإن الإنسان يبقى بعينه ولا يشعر أنه تغير . وكذلك اللذة والألم إنما يحصلان للروح لا للجسم ، فلو زرعنا لبعضهم إصبعاً أخذناه من غيره، ثم أحرقنا هذا الإصبع بنار فإن الذي يتألم هو صاحب الروح القائمة فيه لا صاحب الجسم الذي أخذ الإصبع منه .

من هنا نعلم أن الحساب والثواب والعقاب لا علاقة لها بهذا الجسم الفاني فسواء أخذ من التراب أو من جسم كافر أو من جسم حيوان أو من أي شيء آخر فإن العذاب عينه سيصل إلى الكافر الذي حلت روحه في هذا الجسم .

فالله تعالى يخلق من التراب أو من غيره جسماً مشابهاً تماماً لجسمنا بحيث لا يراه أحد إلا ويقطع بأنه هو الذي كنا فيه في الدنيا ، ثم يبعثنا فيه للحساب والثواب والعقاب .

وقد صرحت بعض الروايات بذلك بل بعض الآيات أيضاً، قال تعالى : {**وليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاَّق**

العليم } [1] .

فإن الضمير في "مثلهم" ليس راجعاً إلى السماوات والأرض ، وإلا لقال "مثلهن" أو "مثلها" ، وإنما راجع إلى المشركين المنكرين للمعاد . وفي التعبير بالمِثْل دليل على المقصود .

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال :

فإذا قبضه الله إليه صيّر تلك الروح إلى الجنة في صورة كصورته ، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا [2] .

وهذا وإن كان ناظراً إلى عالم البرزخ إلا أنه لا فرق من هذه الناحية بين الموردين .

وقال صدر المتألهين في أسفاره :

إن تشخص كل إنسان إنما يكون بنفسه لا ببدنه .. الخ [3] .

والخلاصة لا مانع من البعث الجسماني ، وقد نطق به القرآن، فهو عقديتنا .

استحقاق الثواب والعقاب

1ـ سورة يس ، آية 18 .

2ـ سورة النساء ، آية 48 .

3ـ سورة إبراهيم ، آية 22 .

• **المتفكر : هل الثواب والعقاب يكونان عن استحقاق العبد لهما أم هما من عند الله تعالى ؟**

▪ **الحكيم :** لا بد أن نفرّق في هذه المسألة بين الثواب والعقاب ، فالعقاب يكون عن استحقاق إذ من تعدى حدوده ، وتجرّأ على خالقه وعصى مولاه يستحق العقوبة بما جنت يداه. وليس ذلك ظلماً له من الله تعالى، وإنما هو جزاء عمله كفّاً بكف وذراعاً بذراع . وأما الثواب فعن تفضل من المولى عز وجل، وذلك لأن طاعات الإنسان ليست شيئاً في مقابل نعم الله المتقدمة على هذه الطاعات كنعمة الوجود والبصر والسمع والعقل و.. و.. إلى ما لا نهاية . {**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**}[1] .

ومهما حاول العبد أن يشكر هذه النعم من خلال عباداته وأعماله الصالحة فلن يشكر عُشر معشارها، وكيف يستوفي شكرها وهو في حال الشكر محتاج إلى نعم الله هذه كي يتمكن من الشكر مما يجعل له سبباً جديداً للشكر وهكذا .. فلا يستحق العبد من سيده ثواباً على عمل هو في حقيقته سداد دين له . وما وعد الله به من النعيم إنما هو من باب

1ـ سورة البقرة ، آية 81 .

التفضل المحض . ولكن بما أن الله لا يخلف وعده فقد صارت النتيجة واحدة ، أي أن كلاً من الثواب والعقاب حاصلان لا محالة .

• المتفكر : كيف يصح في منظار العدل الإلهي تخليد الكفار في النار مع أن معصيتهم محدودة زماناً ؟

▪ **الحكيم :** مما لا بد لنا أن نعرفه في هذا المجال أن العلاقة بين الذنب والعقوبة علاقة السبب والمسبب ، فهي أشبه شيء بالسببية التكوينية الحاصلة بين النار والحرارة . ومن الأسباب ما يولد مسبباً ذا مدة زمنية محدودة ، ومنها ما يولّد مسببات تدوم مدى الدهر ، فكما أن لكل سبب مسبّبه فإن لكل ذنب عقوبته . تدبر هذا المثال :

إذا غفل الكاتب لحظة قد تؤدي غفلته هذه إلى كتابة كلمةٍ خطأً ، فيتمكن من إصلاحها بقليل من الوقت ويسير من الجهد .

وإذا غفل السائق لحظة فإن غفلته تؤدي إلى سقوط السيارة في حفرة أو وادٍ ، فيتحطم جزءٌ منها ويصاب السائق بجروح ، فيحتاج إلى أصلاح آثار سهوه إلى زمن أطول وجهد أكبر .

وإذا غفل الجندي وهو يعبر حقل ألغام ، فإنه سيخسر حياته وحياة من

معه دون أن يكون لديه مجال لإصلاح خطأه .

والذنوب هكذا أيضاً ، فذنب يكفي في محوه والتطهر منه مجرد الإستغفار ، وذنب يحتاج بالإضافة إلى الاستغفار إلى كفارة وأداء حقوق الناس ، وذنب لا يغفر أبداً .

قال تعالى : {**إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**}[1] .

فلو اختار العبد الكفر يكون قد حكم على نفسه بالخلود في النار، فلا لوم في ذلك على الله تعالى وإنما لومه على نفسه ، لهذا يقول له الشيطان يوم القيامة : {**فلا تلوموني ولوموا أنفسكم**}[2] .

وما قيل في الكافر يقال في المسلم إذا مات مصرّاً على المعصية ، أو إذا عصى الله عناداً وتحدياً فأحاطت به ذنوبه ، بحيث أقفل على نفسه كل منافذ الرحمة الإلهية .

قال تعالى : {**بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**}[3] .

فإن كلمة "أحاطت" تعني زوال كل قابلية للتوبة من نفسه ونزول

1ـ سورة النساء ، آية 48 .

2ـ سورة إبراهيم ، آية 23 .

3ـ سورة البقرة ، آية 81 .

الرحمة الإلهية عليه .

• **المتفكر : هل نفهم من قانون الثواب والعقاب أن كل من ليس مسلماً هو في النار؟ وما ذنب الجاهلين الغافلين وأطفال الكفار ؟**

▪ **الحكيم :** في هذا المقام تفصيل لا بد من بيانه كي لا نفهم عقائد الإسلام فهماً مغلوطاً . الكفرة نوعان ؛ كافر عالم وكافر جاهل ، والجاهل قاصر ومقصر :

العالم : هو من سمع بالإسلام وبنبوة محمد (ص) ، واطلع عليه، ومع ذلك لم يؤمن به، فهذا كافرٌ يستحق الخلود في النار دون ريب .

الجاهل القاصر : هو الذي لم يسمع بالإسلام أصلاً ، أو سمع به ولكن ليس لديه القدرة العقلية أو الجسدية أو المادية اللازمة للاطلاع على هذا الدين، فلم يطلع عليه، كما هو شأن الكثير من النساء والأطفال، فإن هؤلاء هم المستضعفون في الأرض الذين قال الله عنهم :

{**إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفوَ عنهم**}[1] .

فهم مرجأون لأمر الله ، عسى أن يغفر

1ـ سورة البقرة ، آية 81 .

لهم .

الجاهل المقصر : وهو الذي سمع بالإسلام، ولكنه لم يبحث عنه ليطلع عليه، وليرى إن كان حقاً أو باطلاً، فحَكَمَ عليه من خلال عصبيته أو أهوائه أو خلوده للراحة والكسل، وكان قادراً على الاطلاع ، فإنه يُعدُّ لتقصيره مذنباً ويستحق العقوبة .

واليوم، ومع وجود الآلة الإعلامية الضخمة في العالم لم يعد هناك أحد لم يسمع بالإسلام وبنبوة النبي محمد (ص) ، فصار من اللازم عليه البحث والتفتيش ، وهو أمر متيسر للجميع، لأن الكتب الإسلامية منتشرة في جميع أنحاء العالم .

وأما الملحدون بالله الذين ينكرون أصل وجوده ، ولا يعترفون بالدين أصلاً فهؤلاء كفارٌ بلا ريب ، لأن الله تعالى جعل كل ما في الوجود آيات تدل عليه ، وأعطاهم عقولاً تخولهم من معرفته والوصول إليه ، فعطلوها واتبعوا شهواتهم وأهواءهم ، فهم مستحقون للعقاب، ولا حجة لهم .

ويُخرج من هؤلاء حكماً الأطفال والمجانين ، فإنهم من المستضعفين كما قدمنا .

والخلاصة ليس كل مسلم في الجنة ولا كل غير مسلم في النار، فإن هذه الأمور لا تقاس إلا بمنتهى الدقة ، والله تعالى لا يظلم أحداً ، وهو أعلم

بعباده . نعم للمسلم ميزة على غيره كما أسلفنا ، وهي أنه لا يخلد في النار فإن الشفاعة تدركه بعد أن تطهره النار من الذنوب التي اكتسبها في حياته . والله تعالى أعلم بالصواب .

الخاتمة

هذه أهم الأمور التي يجب على الإنسان المسلم أن يعلمها ويعتقد بها ، ولا يحسن له أن يجهل شيئاً منها ، وهي تمثل جوهر العقيدة الإسلامية مما لو ألّم به المسلم إلماماً كافياً لما خيف عليه من الانحراف ولا من الزيغ والغرق في بحر متاهات الضلال .

ولقد سعينا جاهدين إلى تبسيط الفكرة قدر المستطاع كي يتمكن المبتدئون فيطلب العلم وأجيالنا الناشئة من حمل العقائد الصحيحة دون تعقيد أو تطويل حرصاً منا على تثبيت الدين الحنيف في نفوسهم ليصمدوا في وجه شبهات الملحدين، ولا ينهزموا أمام أضاليل المنافقين، فإن استطعنا أن نوصل الفكرة على النحو المطلوب فبتوفيق الله ومِنّته ، وإن أخفقنا فبتقصيرنا وضعف إدراكنا وانعقاد ألسنتنا ، وليس ذلك عن قصد ولا عن عمد .

وقد تركنا بعض العقائد التي لا تزال موضع خلاف بين علمائنا أو تلك التي لم تثبت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام . وكذلك بعض العقائد التفصيلية التي تخرج الكتاب عن الوجهة التي أردناه له .

وفي الختام نسأل الله تعالى القبول والعفو عن الخطأ ومن القرّاء الكرام الغض والمسامحة . وليعلموا أنه ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تم الفراغ منه ، ليلة 29 من شهر شوال من عام 1416هـ الموافق 18 آذار من عام 1996م .

الراجي عفو ربه
إبراهيم محمد البدوي

فهرس المحتويات

مقدمة الناشر ....

مقدمة المؤلف ....

المجلس الأول : في بيان ركائز الإسلام

أدلة وجود الخالق ....

من أوجد الله ....

هل الله جسم ....

الحكمة في خلق البشر ....

الحكمة في خلق الكائنات ....
الإسلام طريق الكمال ....
أصول الدين الخمسة ....
الفرق بين الأصول والفروع ....
ضرورات الدين ....
تقديس الحجارة والقبور ....
التقية ....

المجلس الثاني : في بيان معالم التوحيد

أدلة التوحيد ....
مراتب التوحيد ....

....
صفات الله تعالى ....
رؤية الله تعالى في الآخرة ....
تعدد الصفات والأسماء الحسنى ....

المجلس الثالث : في بيان العدل الإلهي
معنى العدل ....
الوجه في كون العدل أصلاً ....
إثبات الحسن والقبح العقليين ....
أدلة العدل الإلهي ....
شبهة خلق الشرور ....
شبهة خلق المعاقين والمرضى

....
....
شبهة خلق الحيوانات الضارة
....
....
القضاء والقدر
....
....
السعيد سعيد في بطن أمه
....
....
الموت المحتوم والموت المخروم
....
...
البداء
....
....
....

المجلس الرابع : في بيان ألطاف النبوة

أدلة لزوم النبوة ....

النبي الظاهري والنبي الباطني ....

الفرق بين النبي والرسول ....

طرق إثبات النبوة ....

1- المعجزة ....

القرآن معجزة النبي (ص) ....

الفرق بين المعجزة والسحر ....

تحريف القرآن ومصحف فاطمة ....

عصمة الأنبياء ....

2- تبشير الأنبياء بالنبي محمد (ص) ....

النبي خاتم الرسل

....
....
النبي محمد (ص) ومنطق القوة
....

المجلس الخامس : في بيان أسرار الإمامة

أدلة لزوم الإمامة
....
....
طرق إثبات الإمامة
....
....
عصمة الأئمة
....
....
علم الأئمة
....
....
...
إمام العصر (عج)
....
....
أسرار الغيبتين
....
....
طول عمر الإمام
....
....
علامات الظهور
....

ولاية الفقيه ....

المجلس السادس : في بيان أحوال الموت والمعاد

الموت ....
الشهادة ....
البرزخ ....
المساءلة في القبر ....
أدلة البعث ....
الرجعة ....
التناسخ ....

الشفاعة ....
التوبة ....
المعاد الجسماني ....
استحقاق الثواب والعقاب ....
الخاتمة ....
فهرس المحتويات ....

23

7